سلسلة محاضرات

لسماحة السيّد حسن نصر الله

صحراء المحشر

دار المودة

للترجمة والتحقيق والنشر

صحراء المحشر

نورها الإيمان والعمل الصالح

دار المودة
للترجمة والتحقيق والنشر

اسم الكتاب: سلسلة محاضرات لسماحة السيد حسن نصر الله
صحراء المحشر
نورها الإيمان والعمل الصالح

إعداد: دار المودّة للترجمة والتحقيق والنشر

إخراج وطباعة: DBOUK
00961 3 336218

الطبعة الأولى: كانون الثاني 2016 - 1437 هـ

Lebanon , Beirut , sfeir , Moukarzel street
Mob : 00961 70 724 300 | Telefax : 00961 1 270 664
info@diwan-kitab.com | Diwan.kitab.dm@gmail.com

سلسلة محاضرات

لسماحة السيّد حسن نصر الله

صحراء المحشر

نورها الإيمان والعمل الصالح

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس العناوين

المقدمة 7

تمهيد

في ذكر الموت والعالم الآخر 9
حقيقة الموت والأسئلة المُلِحّة 10
ماذا عن الروح 13
لوازم المعرفة بالعالم الآخر 15
الأدلة على وجود حياة بعد الموت 18

الفصل الأول

القبر والبرزخ: أول منازل الآخرة

الاستدلال على وجود عالم البرزخ 30
تفصيل في مراحل عالم البرزخ 32
أقسام الخلائق في عالم البرزخ 37
وقفة على حال الشهداء في البرزخ 42
القول في الفئة الثالثة 44
موعظة للنفس والمؤمنين 46

الفصل الثاني

ختام المطاف أحوال القيامة الكبرى وأهوالها

مقدمة: الاستعمال اللغوي بين الحقيقة والمجاز 58
الحقيقة والمجاز في القرآن الكريم 60
مؤشرات القيامة الكبرى وأحداثها 62
حال الأحياء من الموجودات في يوم القيامة 65
كيف يميتهم الله؟ 66
المشهد الكوني في القيامة 69
وقفة تأملية على شواهد النص القرآني 73
إحياء الموتى وإعادة بعثهم 78
الوقوف بين يدي الله للحساب 83
فما الذي ينفع يومذاك؟ 90
موجز في الصراط والنتيجة 94
كلمة في الغاية المتوخاة من المبحث 96
واقعة كربلاء في ميزان السعي الأخروي 101

المقدمة

نُدرك جميعًا أنّنا مغادرون لهذه الدُّنيا، طالت أو قصُرت مدّة إقامتنا فيها، ووفق عقيدتنا الإسلاميّة - كما الكثير من الديانات الأخرى - فنحن على موعدٍ مع يوم الحساب، والحياة الأبديّة الخالدة؛ وأنّ وجودنا وحياتنا في هذه الدُنيا الفانية، ما هو إلا اختبارُ جدارة للنعيم الأبديّ أو استحقاقٌ للعذاب الدائم.

وأنّ الدُّنيا دارُ ممرّ، ومزرعةُ الآخرة، وأنّ الموت إيذانٌ بانتهاء العمل وبدء الحساب، وقنطرة العبور من هذا العالم الزائل إلى عالم الخلود، وأنّه أعظم الحقائق وأصدقها، وأثقلها وأمرّها، والاستحقاق الأكبر الذي لا يُمكن الفرارُ منه.

إنّ التذكير الدائم بالموت والحساب ويوم القيامة، يُعيد الهدف الجوهري لحياة الإنسان إلى حيّز الوعي مجدّدًا، ويُجنّبه الانزلاق والسهو والغفلة عن هذا الاستحقاق الأكيد. وقد تفضّل سماحة السيد حسن نصر الله حفظه الله بالحديث عن الموت وصحراء المحشر، وما يجري على الإنسان فيهما، خلال ليالي عاشوراء من العام 1437هـ (2015 م)(*).

ونظرًا لأهميّة هاتين المحاضرتين، فقد وجدنا من الأهميّة تحريرهما في هذا الكتاب، وتقديمهما للقارئ، سائلين الله لنا ولكم حُسن العاقبة والفوز العظيم.

(*) الليلتان السابعة والتاسعة من محرم لعام 1437 هـ ، 20 و22 تشرين أول 2015م.

تمهيد

في ذكر الموت والعالم الآخر

قال الله تعالى في كتابه المجيد ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[1].

سنتناول في ما سيلي من كلام مسألة الموت والآخرة وما يتعلق بهما من قضايا، كيوم القيامة، والعالم الآخر، وغيرها، وسنُعرِّج في طيات البحث على واجباتنا ومسؤولياتنا كأفراد في هذه الدنيا تجاه عالم الآخرة.

وإن لهذه المسألة في الواقع أهمية كبرى، إذ إن فهم

(1) سورة الزمر، الآية 9.

الإنسان لمسألة الموت والآخرة تبتني عليه أمور عديدة من شؤون حياته وأفعاله في هذه الدنيا. وكمثال نلحظ مسألة كربلاء، فإنّ ما حصل في كربلاء من أحداث وما ترتب عليها من نتائج يعود بالدرجة الأولى، من حيث الأسباب الأساسية، والجذور والأصول، إلى هذه المسألة، مسألة الدنيا والآخرة، والنظرة إلى الآخرة، وكيفية التعاطي معها، سواءً في معسكر الإمام الحسين عليه السلام أو في معسكر الأعداء.

حقيقة الموت والأسئلة المُلِحّة:

وقبل الخوض في غمار البحث، نشير إلى أن هناك حقيقةً مسلّمةً يُجمع عليها كل الناس، منذ آدم عليه السلام وحتى اليوم، وسيبقى الناس يُجمعون عليها إلى قيام يوم الدين، وهي حقيقة الموت، أن كل الناس ميّتون لا محالة، وليس في هذه المسألة مكابرة. نحن لو طُفنا أرجاء العالم كلّه، لن نجد إنسانًا عاقلًا يدّعي لنفسه الخلود والأبدية، بل كلهم مقرّ على نفسه بأنه سيموت، ولا فرق في ذلك

بين مؤمن بوجود الله سبحانه ومنكر لوجوده، ولا بين موحّد له تعالى ومشرك به، عبدة الأوثان وعبدة الحجارة، من لا يقر بالعبودية لإله أو لأي شيء؛ كلّهم بحقيقة الموت موقنون، الناس طوال التاريخ وإلى قيام الساعة يُجمعون على هذه الحقيقة، حقيقة الموت التي قهر الله بها عباده، «وقهر عباده بالموت والفناء»[1].

نحن إذًا أمام حقيقة لا مفرّ منها، لا نقاش فيها، أن الإنسان مهما كان إيمانه ومستوى فكره ومهما كانت خلفيته العقائدية، أكان معتنقًا لدين أم لم يكن، فإنّه سوف يموت.

إلا أنه لا بد أن يترتب على هذه الحقيقة سؤال كبير ومركزي، ماذا بعد الموت؟ وهو سؤال منطقي وطبيعي ومشروع؟

ماذا بعد الموت؟ ماذا بعد موتنا كأشخاص؟ من مات من إخوتنا، وأهلنا الذين ماتوا، والدنيا ما تزال قائمة،

(1) من دعاء الصباح لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ.

هؤلاء إلى أين ذهبوا؟ وماذا ينتظرهم؟ وكذلك ماذا بعد انتهاء هذه الدنيا؟ وماذا بعد زوال هذا الكون؟ إذ البشرية تُجمع، والعلماء يُجمعون، على أنّ الكون يسير نحو نهايته الطبيعية، نحو موته الطبيعي وحتفه الطبيعي، فماذا بعد ذلك؟

ما نراه ونعرفه جميعًا بالنظر وبالوجدان - وبعيدًا عن التعقيدات الفلسفيّة والكلاميّة التي يمكن للبحث هذا أن يشملها - أن الإنسان عندما يموت، وفي كل يوم هناك أناس يموتون ونراهم أمامنا جثثًا هامدة، فإنّ النفس أو الروح تكون قد خرجت من جسد هذا الإنسان، جسده الذي قد يكون سالم الأعضاء معافًى، لا يعاني من أيّ مرض ولا مشكلة صحيّة ولا خلل، أتاه الموت فأخرج منه الروح وجعلنا أمام جثة هامدة.

ثمّ هذه الجثة الهامدة، التي يقوم أغلب الناس، عادةً، بتشييعها وأداء الواجبات الدينية تجاهها، كلٌّ بحسب دينه، ويدفنونها في القبر في بقعة صغيرة، ويهيلون عليها التراب، حيث تنقطع آثارها، وتغيب أخبارها؛ بعد ذلك،

ما الذي سيجري في هذا القبر على هذه الجثة، ماذا سيجري على هذا الميّت؟

ونحن نعرف أيضًا، أن هذا الجسد، في نهاية المطاف، بعد مدّة من الزمن، سيبلى، وتأكله الديدان والحشرات، ولا يبقى منه إلا هيكل عظمي، ثم بعد مدّة أطول لن يبقى منه إلا بعض عظام نخرة[1]، وبعد مدّة أطول قد لا يبقى منه إلا بعض التراب. وذوو هذا الميت لن يكون منهم إلا العودة لتقبّل التعازي، وذكر ميّتهم لأيام، أو لأسابيع، لكنهم بعد مدة سيستأنفون حياتهم الطبيعية، وإلّا لما استمرّت الحياة، هذا معلوم للجميع.

ماذا عن الروح:

هذه الروح التي غادرت الجسد، الذي تحوّل إلى جثة هامدة، هل تموتُ هي أيضًا؟ أم ما زالت حيّةً، عاقلةً، شاعرةً، مدركة لما يجري حولها، تشعر بالألم، بالحزن،

---

(1) والعظام النخرة هي العظام البالية، والتعبير مقتبس من قول الله سبحانه نقلًا عن بعض المستنكرين أمر إحياء الموتى في قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ * أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً﴾، سورة النازعات، الآيتان 10 و11.

بالفرح؟ ما هو حال هذه الروح، أو إن شئت سمّها بالنفس؟ إلى أين تذهب؟ أين تسكن؟ أين تقيم؟ ما هو مصيرها؟ والأسئلة هذه ستفرض طرح أسئلة أخرى مثل: هل هناك عالم آخر بعد الموت؟ ما هو هذا العالم؟ ما هي أحواله؟ ما هي أوضاعه؟ ما هي قوانينه، وموازينه، وسننه؟ أهو مثل عالمنا أم هو مختلف عنه؟ هل هناك رابطٌ بين عالمنا وبين ذاك العالم؟ هل سيكون في ذلك العالم حسابٌ أم لا؟ وإذا كنا سنُحاسب، فهل سيكون على شيء فعلناه في هذه الدنيا أم على ماذا؟ أسئلة كثيرة وهي أسئلة مشروعة ومعروفة.

هذه الأسئلة وغيرها جديرة بالتأمّل والتفكّر الطويل والبحث العميق والحقيقي والجاد، ذاك أنها ترتبط بمصير كل واحدٍ منّا وبمصير من نُحِب، فالإنسان إذا أحبَّ أحدًا - أمه وأباه، زوجته وبنيه، إخوته وأخواته، أرحامه وأصدقاءه - فإنه يهتم دون شك بمعرفة مصيرهم ومآلهم، يبحث عن مصيره هو وعن مصيرهم أيضًا.

لوازم المعرفة بالعالم الآخر:

ذكرنا أن البحث عن أحوال وواقع العالم الآخر - عالم ما بعد الموت - هو أمر ضروري لارتباطه بمصير الإنسان ومآله. وهنا نقول إن البحث هذا ليس من باب المعرفة المجرّدة، بل نحن نبحث عن أمر يتعلّق بنا، بمصيرنا، بحياتنا في ذلك العالم، بنعيمنا الدائم أو شقائنا الأبدي، بسلامنا، بأمننا، بسلامتنا، وهو لذلك من المباحث المصيرية التي يجب أن يترتّب عليها عمل وإجراء وتدابير وخطط وبرامج واستعداد، لأننا سنكون أمام سفر طويل وأمام حياة طويلة.

والغريب، وهذه مشكلة تعمّ المؤمنين وغير المؤمنين، أننا، ورغم علمنا بأن أحدنا لن يعيش في هذه الحياة الدنيا إلا لسنوات قليلة - بل قد لا يمتد عمر أحدنا إلا لدقائق والله أعلم - فإننا، ولأننا نفترض أننا سنعيش هذا المدى الزمني، ندرس ونتخصص ونبحث، ونتاجر ونعمل، ونبني البيوت، ونجمع الأثاث ونتزوّج، ونُرزق بالأولاد، ونستقوي، ونبحث عن المناصب، ونبحث عن القوة كي نحمي أنفسنا

ونأمن على أنفسنا وعائلاتنا، ونهتم بصحتنا وصحة الناس، ونسعى لتأمين الرفاهية، إلى غير ذلك، أي إننا نبذل قصارى جهدنا في تحسين أوضاع حياتنا القصيرة هذه. أما حياتنا الأخرى، التي ستمتد ملايين السنين، بل الحياة الأبدية الخالدة، فلا نجدنا نعمل لها! أفلا نفكّر فيها؟ ألا نحضّر لها؟ ألا نبني لنا فيها مساكن؟ ألا نزرع فيها حدائق؟ ألا نهيّئ لنا فيها أمنًا وسلامًا وجاهًا ورفاهيةً وكرامةً وعزًّا وشرفًا ومقامًا وجوارًا؟ وعذاب الجحيم الموجود فيها، الذي لا يمكن أن يخطر على بال بشر، ألا نعمل لنتجنّبه؟ هذا المصاب الآتي الزاحف الذي لن يهرب منه أحد؟

هذا التصرف غريبٌ منا، كأفراد وكجماعات، ينافي المنطق ويتعارض والعقل، حتى إنه لا يراعي جوانب المصلحة والمنفعة الشخصية. فإنه لو جاء أحد إليك - على نحو الفرض - وقال بأن زلزالًا قويًّا سيضرب مكان إقامتك في غضون سنة أو سنتين، وسيذهب بكل شيء، فماذا تفعل؟ إن الإنسان سيبدأ حتمًا بالتفكير في كيفية بيع بيته وإنهاء أموره في تلك المنطقة وشراء

غيره في مكان آخر، بل إن من المحتمل أن يغادرها دونما حساب لشيء إلا للنجاة من الخطر القادم، علمًا أن ذلك كان خبرًا علميًّا من المحتمل حدوثه أو عدمه. أو لو قيل للإنسان - مثلًا - إن في الطريق الذي يسلكه عدوًا كامنًا، أو حقلًا من الألغام، وهو مضطر للعبور من هذا الطريق نفسه دون سواه، ألا يحضّه ذلك على القيام بالتحضيرات اللازمة، أن يفكر في كيفية فكّ الألغام، أو كيفية مواجهة العدو الكامن، في سبيل العبور وبلوغ الغاية سالمًا آمنًا؟ الإنسان الذي هذا حاله مع الدنيا، لماذا لا يتعاطى مع حياته الأبدية، مع مصيره ومصدر أمنه وسلامته ورفاهيته ونعيمه، مع ما هو مقبل عليه من حياة الآخرة، بتلك الطريقة نفسها. نحن، خلال سِنِيّ عمرنا، نخطّط وندرس ونعدّ البرامج ونتاجر ونسعى ليلًا ونهارًا لتأمين المأكل والمشرب والملبس، وتوفير الأمن والأمان، ودفع العدو، وتأمين حياة اجتماعية مقبولة ومعقولة؛ ولكن ماذا حضّرنا لذلك العالم؟ ماذا جهّزنا له وما الذي فعلناه في إزائه؟ هذا هو السؤال الكبير.

وإنه يكفي، في الواقع، احتمال وجود عالم وحياة بعد الموت حتّى يستثار الإنسان ويندفع نحو العمل والتحضير لها. فحتى لو لم يصل أحدنا إلى اليقين بوجود الآخرة وبوجود حياة بعد الموت، فإن مجرد الاحتمال يكفي - منطقيًّا وبحسب معطيات العقل - لكي يحتاط الإنسان، فعليه أن يتهيّأ ويتحضّر لهذا الاحتمال، لأنّ بعد الموت لا فرصة للعمل على الإطلاق.

أما المؤمنون بالله سبحانه وتعالى، وأسمائه وصفاته، وبقدرة الله التي لا حدود لها، وبكماله وجوده وكرمه، وبكبريائه وجبروته وانتقامه، وبعدل الله عزّ وجلّ، وهم الفئة المشمولة في كلامنا بشكل أخصّ، فإنّهم بالتحضير لذلك العالم أحرى، ولا يجب عليهم التقاعس أبدًا.

الأدلة على وجود حياة بعد الموت:

نحن نؤمن بوجود حياة بعد الموت، وبوجود العالم الآخر، وبأنّ هناك حسابًا وثوابًا وعقابًا على كل فعل

يقترفه الإنسان، وبأن هناك جنةً ونارًا[1]. ولن أدخل في بحث استدلالي طويل على ثبوت هذه المسائل، لأن المطلوب هنا هو مجرّد التثبّت من تلك المعطيات للبناء عليها، إلا أنه لا ضير من ذكر بعض وجوه الاستدلال في السياق المذكور.

أولًا، من مؤكدات وجود الحياة بعد الموت أنّ جميع أنبياء الله سبحانه وتعالى الذين بُعثوا في تاريخ

---

(1) كثُر في آيات القرآن كما وفي المرويات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام ذكر الآخرة بما فيها من ثواب وعقاب وجنة ونار وحشر وحساب، بل إن ذكر هذه الحقائق بلغ حدًّا لم يبقَ معه للمؤمن بشريعة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم مجال للشك في أحقية وقوعها. فمما ورد في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ﴾ [سورة البقرة، الآية 48]، وقوله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا﴾ [سورة النساء، الآية 87]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ﴾ [سورة طه، الآية 15]، وقوله: ﴿تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [سورة القصص، الآية 83]، وغيرها الكثير مما يصعب حصره. أما في المرويات عن أهل البيت عليهم السلام، فقد ورد عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «ألا ولا بد من الموت، جاء الموت بما فيه، جاء بالرَّوح والراحة والكرّة المباركة إلى جنة عالية لأهل دار الخلود، الذين كان لها سعيهم وفيها رغبتهم، وجاء الموت بما فيه بالشِّقوة والندامة وبالكرّة الخاسرة إلى نار حامية لأهل دار الغرور، الذين كان لها سعيهم وفيها رغبتهم» [الكافي، كتاب «الجنائز»، باب «النوادر»، الحديث 27]، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال لأبي ذر: «يا أبا ذر حاسب نفسك قبل أن تُحاسب فإنه أهون لحسابك غدًا، وزِن نفسك قبل أن توزن، وتجهّز للعرض الأكبر يوم تُعرض لا يخفى على الله خافية» [ميزان الحكمة، الجزء 2، الحديث 3841]، وغيرها الكثير الوارد في كتب المرويات.

البشرية - الذين يبلغ عددهم بحسب بعض الروايات 124 ألف نبي[1] - حدّثونا عن الحياة بعد الموت، 124 ألف نبي كانوا معروفين بين أقوامهم بالصدق والأمانة والصلاح والسلامة، أخبرونا ذلك عن الله سبحانه وتعالى[2].

كما أنّ الكتب السماوية التي أنزلها سبحانه وتعالى على الأنبياء تحدّثنا كلّها عن ذلك العالم وعن تلك الحياة. القرآن الكريم، الكتاب الخالد والخاتَم، والذي

---

(1) أغلب الروايات أجمعت على هذا العدد، منها ما روي في الخصال عن النبي ﷺ لما سأله أبو ذر عن عدد الأنبياء أنه قال: «مئة ألفٍ وأربعة وعشرون ألف نبي» [ميزان الحكمة، الجزء 10، الحديث 19495]، ومنها ما روي في الأمالي عنه أيضًا: «خلق الله عز وجل مائة ألف نبي وأربعةً وعشرين ألف نبي، أنا أكرمهم على الله ولا فخر» [أمالي الصدوق، المجلس الحادي والأربعون، الحديث 11]، وغيرها.

(2) من الثابت في الشريعة الإسلامية أن الأنبياء كلهم - منذ آدم وحتى نبي الإسلام الأكرم محمد ﷺ - مشتركون في دعوتهم الناس إلى الإيمان بالله وتوحيده والإيمان باليوم الآخر، وقد حدثنا القرآن في غير موضع عن ذلك، فورد عن النبي نوح عليه السلام: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [سورة الأعراف، الآية 59]، وورد عن النبي إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [سورة البقرة، الآية 126]، وورد عن النبي يوسف عليه السلام أنه قال: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [سورة يوسف، الآية 101]، وورد على لسان موسى عليه السلام قوله: ﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾ [سورة الأعراف، الآية 156]، وغيرها كثير مما ذكره القرآن عن الأنبياء السابقين على رسالة الإسلام، وكله يدل على أن الأنبياء السابقين كانوا يؤمنون باليوم الآخر ويدعون الناس إلى الإيمان به ويحذرونهم إياه.

ثبت إعجازه بأدلة العقل والنقل، يحتوي على ما يقرب من ألف آية كريمة تدور حول موضوع العالم الآخر وما يجري فيه من أحداث، بعد الموت وقبل القيامة وبعدها من جنة ونار وخلود وأبدية وما شاكل، حتى إن هناك سورًا في القرآن يرتبط اسمها بالعالم الآخر، كسور الجاثية، الواقعة، الحشر، الممتحنة، التغابُن، الحاقة، القيامة، التكوير، الانفطار، الغاشية، الزلزلة، القارعة، كما وبعضها يتعلق كل مضمونها بهذا الموضوع ولو لم يكن اسمها متعلّقًا به كسورة الإنسان.

ثم مما يدل بالتأكيد على ثبوت المسألة اقتضاء العدل الإلهي لها. فمما يقتضيه إيماننا بعدل الله سبحانه أن يكون هناك حياة بعد الموت. لأنّ المؤمنين والصالحين في هذه الدنيا، من آدم إلى قيام الساعة، لم يحصلوا بأغلبهم على جزاء أعمالهم الصالحة، هم يُقتلون ويستشهدون ويتألمون ويواجهون مصاعب هذه الحياة فيما يتنعّم بها آخرون، فلا بد إذًا من عالم آخر، مقتضى العدل الإلهي أنّ يحصل هؤلاء في الآخرة - 124 ألف

نبي، ومئات الآلاف من المؤمنين والصالحين والشهداء على مر التاريخ - على جزاء عملهم الصالح، لا بد أن يكون هناك عالم آخر وحياة أخرى يثابون فيها على جهادهم، على جراحهم، على آلامهم، على معاناتهم، على صبرهم، على احتسابهم، على فقرهم، على البلاء الذي تحمّلوه في هذه الدنيا بصدق وإخلاص. وأيضًا من جهة أخرى، الظالمون، المجرمون، الطغاة، المستبدّون، القتلة، العُتاة، الذين ملأوا الأرض ظلمًا وجورًا وفسادًا وطغيانًا - مثل فرعون ونمرود[1] والذين قبلهم والذين بعدهم وما

---

(1) أما فرعون، فهو طاغية عصر نبي الله موسى، عتى في الأرض وتجبّر على بني إسرائيل وادعى لنفسه الربوبية، ذُكر في القرآن في عدة مواضع منها قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [سورة القصص، الآية 4]، وقوله: ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ * إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى * ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ * فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ * وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ * فَأَرَىٰهُ ٱلْـَٔايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ * فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ * ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ * فَحَشَرَ فَنَادَىٰ * فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ * فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴾ [سورة النازعات، الآيات 15 - 25]، وقوله: ﴿ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ * مِن فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ [سورة الدخان، الآيتان 30 و31]، وغيرها الكثير؛ وأما نمرود فهو طاغية عصر نبي الله إبراهيم من ملوك بابل، آتاه الله الملك على قومه فطغى في الأرض وادعى الربوبية، ذُكر في القرآن في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [سورة البقرة، الآية 258].

أكثر الطغاة في هذه الأرض - هـؤلاء لم ينالوا في الدنيا جزاءهم، العدل الإلهي يقتضي أن يكون هنالك عالم آخر ليُحاسَب هؤلاء، ويُجازوا ويُعاقَبوا على جرائمهم وفسادهم وطغيانهم وتجبُّرهم على عباد الله وخلقه وعياله. إذًا، لا بدّ من وجود ذلك العالم ولا بدّ من حلول ذلك اليوم.

الفصل الأول

القبر والبرزخ:
أول منازل الآخرة

بالعودة إلى الأسئلة التي طرحناها في التمهيد نقول: إن الإجابة على الأسئلة المطروحة تصل بنا إلى استنتاج خلاصة، تُبتنى بالحد الأدنى على أساس إسلامي وقرآني، وسنتحدث هنا حول الأساسيات دون الدخول في التفاصيل.

أولًا، نحن نجزم بوجود حياة بعد الموت، وذلك بناءً على الأدلة العقلية والأدلة القرآنية، وبوجود عالم آخر ننتقل إليه، وأن الحياة البشرية - حياة أيّ إنسان - لا تنتهي عند موته، بل ما ينتهي هو مرحلة منها فقط، وحتى عند انتهاء الدنيا، فإن البشرية لا تنتهي، بل البشرية بأسرها، منذ آدم حتى آخر مخلوق، تنتقل قبل قيام الساعة إلى عالم آخر، هذا من حيث الأساس ومن حيث المبدأ.

ثانيًا، تنقسم الحياة ما بعد الموت، بحسب تعاليم عقيدتنا الإسلامية، إلى مرحلتين: مرحلة وسطى ومرحلة

كبرى، إن صح التعبير، أو بالإمكان القول: مرحلة تحضيرية ومرحلة الحياة الحقيقية الأبدية - كما يعبّر العلامة الطباطبائي صاحب تفسير الميزان - فالدنيا، بحسبه، هي دار العمل والامتحان والاختبار، وهناك عالم وسطي، يعتبر عالم التهيؤ للحساب والجزاء، وهناك عالم ثالث هو عالم الآخرة، عالم الحساب والجزاء. هذا العالم الوسطي يسمى بعالم البرزخ، وهو المعروف أيضًا بعالم القبر.

فبين الحياة والآخرة، إذًا، مرحلة وسطى تُسمّى بحسب الاصطلاح الإسلامي بعالم البرزخ، تبدأ من لحظة موت الإنسان وانتقاله من هذه الدنيا وتمتد إلى أن يأذن الله بقيام الساعة، القيامة الكبرى، هذه المرحلة هي عالم البرزخ. ومرحلة البرزخ تتفاوت، بطبيعة الحال، بين إنسان وآخر، بحسب تاريخ الفترة التي عاش فيها هذا الإنسان، فأبونا آدم وأمّنا حواء عليهما السلام مثلًا هما في عالم البرزخ من لحظة موتهما، ولا يزالون فيه حتى هذه اللحظة، وسيبقون فيه حتى قيام الساعة، بالتالي فمدة مكوثهم فيه أطول بكثير مما ستكون مدة مكوث أحدنا فيه. ولكن الجميع مآله إليه،

كل الذين ماتوا والذين سيموتون يذهبون إلى عالم البرزخ، وهذا العالم كما أشرنا لا يمكن أن نعلم إلى متى سيمتدّ زمنيًّا، لأنه لا يعلم ميقات الساعة إلا الله سبحانه وتعالى.

تعني كلمة «برزخ» في اللغة العربية: الحاجز بين شيئين، والحائل بين شيئين. من هنا فعالم البرزخ هو الحاجز والحائل بين هؤلاء الذين انتقلوا من الدنيا وبين الآخرة، يحول بينهم وبين الآخرة بانتظار الإذن الإلهي للقيامة الكبرى وجمع الناس أجمعين منذ آدم إلى قيام الساعة، ويحيط بهم من كل جانب، بمعنى أنهم لا يتسنى لهم الانتقال إلى عالم الآخرة قبل تحصيل الإذن الإلهي، ولا إمكانية لهم أيضًا للعودة إلى الدنيا إلا بإذن إلهي. فهو يحجزهم في الوسط بين الدنيا والآخرة.

ثم بعد البرزخ تأتي المرحلة الثانية، مرحلة القيامة الكبرى والانتقال إلى العالم الأبدي السرمدي، الذي يبدأ عندما يعيد الله سبحانه وتعالى تكوين هذا الوجود وهذا الخلق، ويشهد الناس ما قرأوه في آيات القرآن من مشاهد القيامة، ﴿ يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ

﴿وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴾[1]، والله سبحانه وتعالى يحيي الخلائق أجمعين ويأتي بها إلى صحراء المحشر للحساب وهنا تبدأ أحداث الآخرة الكبرى أو القيامة الكبرى.

الاستدلال على وجود عالم البرزخ:

استند العلماء والمفسرون في استدلالهم على البرزخ بشكل أساسي على آيات الكتاب الكريم.

قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ * لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ * فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾[2] والآيات هنا تتناول حالة النزع التي تصيب الإنسان حال إدراكه أن روحه بدأت تُنزع منه، وأنه بلغ مرحلة الانتقال ومغادرة الدنيا، إذ يخاطب الله سبحانه وتعالى أن ربي ارجعون، الإنسان في هذه المرحلة يكون قد التمس الخطر المقبل، علم أن الحياة انتهت، وفرص العمل انتهت، وأنه سينتقل إلى دار أخرى، هو شهد حالة احتضاره وعملية نزع روحه، وبدأت تتكشف لعينيه حقائق

(1) سورة إبراهيم، الآية 48.

(2) سورة المؤمنون، الآيات 99 - 101.

العالم الآخر، كما تذكر الروايات، من ملائكة وسواها. هو الآن يستشعر وقوع القدر المحتوم، فيتوسّل أن يُعطى فرصة العودة. هذا كله سابق على مرحلة الآخرة، مرحلة دخول الجنة أو النار، بل هذا الأمر يبدأ في مرحلة الاحتضار، فيقول: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ * لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ﴾.

فيأتيه حينها الجواب: ﴿كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾، أي إن الإنسان من لحظة موته وحتى لحظة البعث يكون في عالم خاص ومنطقة برزخية، ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ ﴾ عندما تُحيا الخلائق من جديد ﴿ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾ ذهبوا إلى الحساب وإلى صحراء المحشر.

إذًا فالإنسان يمر بين مرحلة موته وبعثه للحساب بمرحلة انتقالية هي مرحلة البرزخ، والآيات السابقة تدل صراحةً على هذا المعنى. وإضافةً إليها توجد روايات كثيرة تناولت تفاصيل متعلقة بهذا العالم، كما وهناك آيات أخرى أيضًا تدلّ على هذا المعنى، نُعرِض عن ذكرها هنا بغية التركيز على طرح الأساسيات من الموضوع.

تفصيل في مراحل عالم البرزخ:

نشير بدايةً إلى مسألة عقائدية ثابتة لدينا، بل يمكن القول إن المسلمين يجمعون عليها ما خلا بعضًا قليلًا من أصحاب الرأي، مفادها أن الله سبحانه يُرسل للميت عند دفنه في القبر مَلَكين كريمين[1] يسألانه عن أمور

---

(1) اتفقت الروايات على أن الإنسان بعد نزوله إلى القبر يأتيه ملكان ويسألانه عن ربه ودينه ونبيّه، بل ومجمل شؤون حياته الاعتقادية والعملية، والملكان بحسب ما ورد اسمهما منكر ونكير. ورد عن الإمام السجاد عليه السلام أنه قال واعظًا: «كأن قد أوفيتَ أجلَكَ، وقبض الملَكُ روحَكَ، وصرت إلى منزلٍ وحيدًا، فرُدَّ إليك فيه روحُكَ، واقتحم عليك فيه ملكاكَ منكرٌ ونكير لمساءلتك، وشديد امتحانك. ألا وإن أول ما يسألانك عن ربّك الذي كنتَ تعبده، وعن نبيّك الذي أُرسل إليك، وعن دينك الذي كنتَ تدين به، وعن كتابك الذي كنتَ تتلوه، وعن إمامك الذي كنتَ تتولّاه. ثم عن عمرك فيما أفنيتَهُ، ومالكَ من أين اكتسبتَه وفيما أتلفتَه، فخذ حِذرَك وانظر لنفسك، وأعِدّ للجواب قبل الامتحان والمساءلة والاختبار». [ميزان الحكمة، الجزء 8، الصفحة 3278، الحديث 16259]. كما وورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إذا مات المؤمن شيّعه سبعون ألف ملكٍ إلى قبره، فإذا أُدخل قبره أتاه منكرٌ ونكير فيُقعدانه ويقولان له: من ربّك؟ وما دينك؟ ومن نبيّك؟ فيقول: ربي الله، ومحمد نبيّي، والإسلام ديني، فيفسحان له في قبره مدَّ بصره، ويأتيانه بالطعام من الجنة ويُدخلان عليه الرَّوح والريحان». [أمالي الصدوق، المجلس الثامن والأربعون، الحديث 12]. وفي تحديد لما يُسأل العبد عنه في القبر يقول إمامنا الصادق عليه السلام: «يُسأل الميت في قبره عن خمس: عن صلاته وزكاته وحجّه وصيامه وولايته إيّانا أهل البيت، فتقول الولاية من جانب القبر للأربع: ما دخل فيكنّ من نقص فعليَّ تمامه». [الكافي، كتاب «الجنائز»، باب «المسألة في القبر ومن يُسأل ومن لا يُسأل»، الحديث 15]، وواضح من سياق المرويات الأخرى أن ما يسأل عنه الميت في قبره لا ينحصر بالمسائل المحددة في هذه الرواية، بل الرواية كأنّما تذكر ما يسأل عنه الميت مضافًا إلى سؤاله عن ربه ودينه ونبيّه، والله العالم. هذا وهناك من المرويات المتناولة لمسألة سؤال الميت في قبره ما لا يمكن حصره فنكتفي بما أوردنا.

أساسية: عن ربه، عن دينه، عن نبيّه، فإن أجاب حقًّا وكان على ضوء أعماله وحالته في الدنيا من الصالحين، فإنهما - بحسب الروايات - يسلّمانه إلى ملائكة النعيم؛ أما إن تلجلج أو لم يحر جوابًا أو تكلم بما يظهر سوء حاله في الدنيا، فإنهما يُسلّمانه إلى ملائكة العذاب ويجري عليه ما يجري في ذلك القبر[1]. إن تلك لحظة قاسية

---

(1) وذلك وارد بتفاصيل تختلف بين رواية وأخرى إلا أنه بالعموم يفيد معنًى واحدًا، ومما ورد في تفصيل ذلك قول الصادق عليه السلام: «يجيء الملكان منكرٌ ونكير إلى الميت حين يُدفَن، أصواتهما كالرعد القاصف وأبصارهما كالبرق الخاطف يخُطان الأرضَ بأنيابهما ويَطَآن في شعورهما، فيَسألان الميت: مَن ربك وما دينك؟ قال فإذا كان مؤمنًا قال الله ربي وديني الإسلام، فيقولان له ما تقول في هذا الرجل الذي خرج بين ظَهرانيكم؟ فيقول أعن محمد رسول الله صلى الله عليه وآله تسألاني؟ فيقولان له تشهد أنه رسول الله؟ فيقول أشهد أنه رسول الله، فيقولان له نَمْ نَوْمَةً لا حلم فيها، ويُفسَح له في قبره تسعة أذرع ويُفتَح له باب إلى الجنة ويرى مقعده فيها، وإذا كان الرجل كافرًا دخلا عليه وأُقيم الشيطان بين يديه، عيناه من نحاس، فيقولان له من ربّك وما دينك وما تقول في هذا الرجل الذي قد خرج من بين ظَهرانيكم؟ فيقول لا أدري فيُخَلّيان بينه وبَين الشيطان فيُسَلَّط عليه في قبره تسعة وتسعين تنينًا لو أن تنينًا واحدًا منها نفخ في الأرض ما أنبتت شجرًا أبدًا ويُفتَح له باب إلى النار ويرى مقعده فيها». [الكافي، كتاب «الجنائز»، باب «المسألة في القبر ومن يُسأل ومن لا يُسأل»، الحديث 7]، وقول إمامنا الباقر عليه السلام لما سئل عن ما يسأل عنه المسؤولون في القبر قال: «عن الحجّة القائمة بين أظهُرِكُم فيُقال للمؤمن ما تقول في فلان بن فلان فيقول ذاك إمامي فيُقال نَم أنامَ الله عينكَ، ويُفتَح له باب من الجنة فما يزال يُتحِفُه من رَوحِها إلى يوم القيامة، ويُقال للكافر ما تقول في فلان بن فلان قال فيقول قد سمعت به وما أدري ما هو فيُقال له لا دَرَيْتَ، قال ويُفتَح له باب من النار فلا يزال يُتحفه من حرّها إلى يوم القيامة». [الكافي، كتاب «الجنائز»، باب «المسألة في القبر ومن يُسأل ومن لا يُسأل»، الحديث 8]. وغيرها من المرويات كثير.

جدًّا، حاسمة ومصيرية، يتحدّد له على أساسها مصيره وفي أي صف هو، صف النعيم - بمعزل عن أشكاله وتفاصيله وعناوينه في البرزخ - أو صف الشقاء والعذاب والهوان - بمعزل أيضًا عن حجمه وتفاصيله وكيف يكون في عالم البرزخ. هذا كله تذكره الروايات.

بعدها يقف الإنسان في مرحلة شديدة الصعوبة والهول، هي مرحلة الساعات والأيام الأولى في القبر. فالإنسان منا عندما ينتقل من بلد إلى آخر أو من مدينة إلى أخرى ضمن بلد واحد، فإنه بسبب تغيّر محيطه وبيئته ومسكنه وجيرانه يظل لفترة من الزمن مستوحشًا من المكان وأهله، وذلك حتى يبلغ مرحلة الانسجام النفسي مع المكان. فكيف ترى قد يكون حال واحدنا عندما ينتقل من الدنيا إلى تلك الدار؟ إن هول ما يواجهه الإنسان عند النزع والاحتضار ثم الانتقال إلى تلك الدار الجديدة بحدّ ذاته كافٍ، ولذلك كان الأنبياء عليهم السلام والأئمة عليهم السلام وكبار العرفاء والصالحين يكون عندما يتذكّرون أو تخطر في بالهم تلك اللحظات.

الانتقال إلى القبر هو الانتقال من العالم الرحب إلى الحفرة الضيقة التي يصفها أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ بقوله: «وحُفْرَةٌ لَوْ زِيدَ فِي فُسْحَتِهَا، وَأَوْسَعَتْ يَدَا حَافِرِهَا، لأضْغَطَهَا الْحَجَرُ وَالْمَدَرُ، وَسَدَّ فُرَجَهَا التُّرَابُ الْمُتَرَاكِمُ»[1]، هو الانتقال إلى بيت الغربة والوحشة والخوف، بيت الدود والهلع والقلق، حيث يغدو المرء وحيدًا غريبًا، متروكًا بلا ناصر ولا معين، لا يُسمع كلامه إن تكلم، ولا قدرة له على أي عمل يعمله فيغير به وضعه ويبدل سوء حاله بالحسن. هي دار العجز المطلق، والفقر المطلق، وكل هذا مورده القبر.

ومن هنا يظهر أن لذاك العالم صفة الكاشفية عن الواقع، لأن الإنسان في الدنيا قد يخطئ الظن ويرى في نفسه صفات القدرة والغنى والسعة وغيرها، رغم كونه في الواقع فقيرًا وجاهلًا وعاجزًا لولا منّ الله عليه بالعلم والغنى والمال والجاه، أما هناك فالحقائق تتكشف،

---

(1) نهج البلاغة، باب «كتبه ورسائله وعهوده ووصاياه»، الكتاب رقم 45: «من كتاب له عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى عثمان بن حنيف الأنصاري».

ويظهر عجز الإنسان وفقره وجهله وضعفه ووهنه صريحًا بيّنًا.

ثم أضف إلى ما مر - وهو مما ذكرته الروايات أيضًا - مسألة ضغطة القبر في الأيام الأولى أو الساعات الأولى لنزول الإنسان إلى قبره، أو ما يُسمّى بضمّة القبر، التي لا يُستثنى منها إلا قليلون بحسب الروايات[1] الواردة عند السنّة والشيعة وعند عموم المسلمين، وهي من المسائل التي توجب التأمل والتبصر والتمهيد وأخذ الحيطة والحذر، كما في الآية التي بدأنا بها: و﴿يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ﴾[2]، فالقبر من منازل الآخرة، بل هو أول منازلها.

ثم بعد ذلك - بعد مجيء الملائكة، وسؤالهم المرء

---

(1) وضغطة القبر - أو ضمّة القبر كما ورد في بعض النصوص - من الثوابت في تعاليم الشريعة الإسلامية، يتعرّض لها كما ذكر المؤلف السواد الأعظم من الخلق ولا ينجو منها إلا فئة قليلة، أشار إليها أهل بيت العصمة في كثير مما ورد عنهم، منه قول الصادق عليه السلام عن حساب الإنسان في القبر قال: «يُسأل وهو مضغوط». [الكافي، كتاب «الجنائز»، باب «المسألة في القبر ومن يُسأل ومن لا يُسأل»، الحديث 5]، ومنها جوابه عليه السلام لسائل سأله: «أيُفلت من ضغطة القبر احد؟» حيث قال: «نعوذ بالله منها ما أقلّ من يُفلِتُ من ضغطة القبر». [الكافي، كتاب «الجنائز»، باب «المسألة في القبر ومن يُسأل ومن لا يُسأل»، الحديث 6].

(2) سورة الزمر، الآية 9.

ثم تصنيفهم إياه في أهل الشقاء أو النعيم - ماذا يكون المآل؟ إلى أين سيذهب الناس بعد ذلك؟ للأمر هذا نقاش علمي طرحت فيه آراء فلسفية وكلامية وقرآنية لن نستعرضها هنا لضيق المقام، ولكننا سنستخرج منها القدر المتيقن والمشترك بينها، القدر المتفق عليه الذي دليله الآيات القرآنية، وبعض الروايات الصحيحة.

أقسام الخلائق في عالم البرزخ:

يستفاد من عموم الأدلة انقسام الناس في البرزخ إلى فئات، أولها فئة المعذّبين الذين لا يُنعّمون، وثانيها فئة المنعّمين الذين لا يُعذّبون، وثالثها فئة بينهما سنأتي على تناولها.

الفئة الأولى بمجرد انتقالهم من هذه الدنيا تتلقاهم الملائكة بالتعنيف والتوهين والتعذيب، والعقاب المختلف الأشكال، فمن هم هؤلاء؟

قبل الإجابة عن السؤال نقف على مورد قرآني يذكر تفصيل العذاب الذي يلحق بالفئة الأولى. ورد في القرآن الكريم في قضية نبي الله موسى وفرعون كلام في تفصيل

حال هذه الفئة، قال تعالى متحدثًا عن موسى عليه السلام: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ﴾[1]، ثم يُلحق الله قوله هذا بتفصيل لمعنى سوء العذاب يقسّمه إلى شقّين: الأول ما يرد في قوله: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ﴾[2]، والثاني في قوله: ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾[3]. فالشق الأول هو عرضهم على النار في عالم البرزخ، والثاني هو العذاب الذي سيدخلونه يوم تقوم الساعة، فهم في العذاب وليسوا منه بخارجين.

ولكن قد يُسأل عن دليل كون الشق الأول دالًّا على البرزخ، وعنه يجيب المفسرون والعلماء بأن القرينة الأولى هي ذكر الآية لمسألة الغدو والعشي، علمًا أن جهنم القيامة الكبرى، أي جهنم الخالدة، لا صبح فيها ولا ليل، والآية هنا تشير صراحةً إلى العرض على النار صباحًا ومساءً، فذلك يفيد أن هذا الأمر متحقق قبل الانتقال إلى جهنم الآخرة.

---

(1) سورة غافر، الآية 45.

(2) سورة غافر، الآية 46.

(3) سورة غافر، الآية 46.

والقرينة الأخرى هي قول الله: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾، فهو يفيد صراحةً بأن قيام الساعة لمّا يقع بعد، وأن هذا العرض على النار يحصل قبل قيام الساعة، فالناس يعرضون على النار صباحًا ومساءً قبل قيام الساعة، وعندما تقوم الساعة، يقول الله، فحينها ﴿أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾.

ونعود الآن للإجابة على سؤال من هي هذه الفئة الأولى؟ ليس فرعون مخصوصًا في هذا المورد، بل الكلام يشمل الفراعنة والنماردة والعتاة والطواغيت في كل زمان، تشمل أبا جهل(1) وأبا لهب(2) وصناديد قريش الذين قاتلوا رسول الله ﷺ، وبحسب تعبير الروايات: تشمل

(1) هو عمرو بن هاشم بن المغيرة من قبيلة كنانة، كان سيدًا من سادات قريش فترة ظهور الإسلام، وأعلن جهارًا رفضه للإسلام بل كان من أشد المعادين للنبي الأكرم ﷺ وأتباعه. كنيته الأصلية أبو الحكم إلا أن الرسول ﷺ كنّاه بأبي جهل إثر قتله امرأةً عجوزًا بسبب إعلانها الإسلام جهارًا.

(2) هو عبد العزى بن عبد المطلب، عم النبي محمد ﷺ، كنيته الأصلية أبو عتبة نسبةً لابنه الأكبر عتبة، إلا أن أباه عبد المطلب لقبه بأبي لهب لوسامته وإشراق وجهه. كان أول من جهر بعداوته للإسلام عندما جهر النبي ﷺ بدعوته. ذُكر في القرآن في سورة المسد، حيث قال تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ * سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ * وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ * فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ﴾ [سورة المسد، الآيات 1 - 5].

من مَحَضَ الكفر محضًا، أي من كان كفره كفرًا محضًا، وظلمه محضًا، وطغيانه محضًا، واستبداده محضًا[1]. من كانت هذه حاله فهو لن يلقى راحةً بعد ذلك، لأنه اختار دنياه جنّةً له، كما يقول الإمام الحسين عليه السلام، أي إنه في الدنيا ملك القصر والنعيم والملك والزبانية والناس، أكل وشرب وتمتع وتصرف بأمواله مشبعًا شهواته. هذا كله ينتهي بعد الموت، فمن أول لحظة من لحظات النزع هو دخل في العذاب والهوان والإذلال والشقاء.

الآية هذه يُستدل بها على مسائل عدة، فتدل على وجود مرحلة وسطى هي مرحلة البرزخ، وتدل على وجود

---

(1) تشير جملة من الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام إلى مسألة أن سؤال الملكين في القبر وما يتلوه مما مر في الروايات السابقة إنّما يطال صنفين من الناس فقط، هما من مَحَض الإيمان ومن مَحَض الكفر، وهما الفئتان الأوليان اللتان يشير إليهما المؤلف. من ذلك ما ورد عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال: «لا يُسأَلُ في القبر إلا من مَحَضَ الإيمان مَحْضًا أو مَحَضَ الكفر مَحْضًا والآخرون يُلهَونَ عنهم». [الكافي، كتاب «الجنائز»، باب «المسألة في القبر ومن يُسأل ومن لا يُسأل»، الحديث 1]، وما ورد عنه عليه السلام أيضًا: «إنما يُسأَلُ في قبره مَن مَحَضَ الإيمان مَحْضًا والكفر مَحْضًا وأما ما سوى ذلك فيلهى عنهم». [الكافي، كتاب «الجنائز»، باب «المسألة في القبر ومن يُسأل ومن لا يُسأل»، الحديث 2]، وما ورد عن أبيه الباقر عليه السلام: «إنما يُسأَلُ في قبره من مَحَضَ الإيمان مَحْضًا والكفر مَحْضًا وأما ما سوى ذلك فيُلهى عنه». [الكافي، كتاب «الجنائز»، باب «المسألة في القبر ومن يُسأل ومن لا يُسأل»، الحديث 3].

حياة في هذا العالم لأنه لا يصحّ الكلام على عذاب في حق الجماد بل العذاب يكون للحيّ، ويُستدلّ بها على وجود نار برزخية غير جهنم المعروفة، كما وعلى أنّ العذاب في عالم البرزخ لا يُقاس بالعذاب المنتظر يوم القيامة بل هو أقل شأنًا منه، وإلا فَلِمَ التصعيد بأنه يوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشدّ العذاب لو لم يكن عذاب يوم القيامة أشدّ من عذاب البرزخ؟ ونشير هنا إلى أن الكلام ذاته يصح في حق نعيم القيامة بأنه أعلى من نعيم البرزخ، وقد ورد في الروايات أنّ المعذّبين في البرزخ يقولون ربنا لا تُقِم القيامة لأنهم يرون مصيبتهم ويعلمون أن ما ينتظرهم أسوأ[1]، على خلاف المنعّمين في البرزخ فإنهم يقولون ربنا أقم القيامة لأنهم يستبشرون بنعيم أعلى وأعظم مما هم فيه في البرزخ[2].

---

(1) وهو ما ورد عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال: «إن أرواح الكفّار في نار جهنّم يُعرضون عليها يقولون ربّنا لا تُقِم لنا الساعة، ولا تنجز لنا ما وعدتنا، ولا تُلحِق آخرنا بأوّلنا»، [انظر، ميزان الحكمة، الجزء 1، الحديث 1694].

(2) وهو ما ورد عنه عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال: «أرواح المؤمنين في حُجُرات في الجنة، يأكلون من طعامها، ويشربون من شرابها، ويتزاورون فيها، ويقولون ربّنا أقم لنا الساعة لتنجز لنا ما وعدتنا»، [انظر، ميزان الحكمة، الجزء 1، الحديث 1689].

أما الفئة الثانية، فتشمل بحسب الروايات[1] من مَحَضَ من الناس الإيمان محضًا، أي من كان إيمانه في الدنيا إيمان طهارة ونقاء وصفاء، ومنهم الأنبياء والرسل والأوصياء المعصومون، ومنهم أيضًا الشهداء - الذين سنقف قليلًا على ذكر أحوالهم بحسب آيات القرآن - فهؤلاء - الفئة الثانية - لا نقاش في أنهم يُنعّمون من لحظة انتقالهم الأولى عن هذه الدنيا، هم ينتقلون إلى نعيم الله ورضوانه، إلى أمن الله وأمانه، إلى العافية والسلامة والكرامة وإلى ما أعده الله سبحانه وتعالى لهم.

وقفة على حال الشهداء في البرزخ:

وقد ورد في الآيات القرآنية في خصوص حالهم في البرزخ بيان لطيف نستند إليه في هذا المورد. يقول الله في محكم كتابه: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ﴾[2] في خطاب موجه للناس من عصر نبيّنا الخاتم ﷺ إلى اليوم وحتى قيام الساعة، مفاده - وقد نزلت الآية في سياق

(1) انظر الروايات الواردة في هامش سابق حين ذكر سماحته الفئة الأولى.

(2) سورة البقرة، الآية 154.

تربوي إرشادي - نهي الناس عن اعتبار هؤلاء أمواتًا كغيرهم، وإرشادهم إلى أن هؤلاء هم في عداد الأحياء، الآن، قبل قيام الساعة هؤلاء أحياء، هم ﴿أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾[1].

وهناك آية أوضح في السياق نفسه هي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[2]، أي إنهم أحياء الآن، ورزقهم المذكور ليس معناه الأكل والشرب والمال، بل المعنى أبعد من ذلك، هم يُرزقون من الكرامة والدرجات العالية، ومن الأمن والسلامة، من الشرف والعزّ، من الرضوان والروح والريحان، والنعيم والجنان وغيره الكثير. ﴿بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾[3] الآن، وفي هذه اللحظات، ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ﴾[4]، بمن يستبشرون؟ هم يستبشرون بإخوانهم ورفاقهم وأحبائهم وأصحابهم الذين ما زالوا في دار الدنيا،

---

(1) سورة البقرة، الآية 154.

(2) سورة آل عمران، الآية 170.

(3) سورة آل عمران، الآيتان 169 - 170.

(4) سورة آل عمران، الآية 170.

ويخاطبونهم قائلين: أيها الإخوة الموجودون في الدنيا، يا أهل الدنيا، لو تعرفون في أيّ نعيم وجمال نحن، وفي أي نور وسلام وكرامة، مع مَن وفي جوار مَن، لَمَا طاقت أنفسكم ولَما تحمّلتم البقاء في الدنيا لحظةً واحدة، ولكنكم محجوبون غافلون ناسون. ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ﴾[1] ويطمئنون عليكم ستواصلون بأنكم طريقنا وستُرزقون إن شاء الله الشهادة كما رُزقناها، ﴿أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[2].

القول في الفئة الثالثة:

وبعد أن طوينا الكلام عن الفئتين الأولى والثانية نصل إلى الكلام عن بقية الناس. وقد اختلفت في شأن هؤلاء الروايات وآراء العلماء، حتى داخل المذهب الواحد. ولكون البحث هذا علميًّا فكريًّا عقائديًّا محتاجًا لكثيرٍ من النقاش، فلن أعمد إلى إعطاء نتيجة حاسمة بل سأكتفي بعرض بعض الآراء.

---

(1) سورة آل عمران، الآية 170.

(2) سورة آل عمران، الآيات 170 - 171.

هناك من العلماء من ذهب إلى أن الفئة الثالثة من الناس بعد أن يُسألوا - ويأخذوا الوجبة الأولى إن صح التعبير مما يجري عليهم في القبر من الضمّة والضغطة والاستبشار أو الغضب - فإنه يُلهى عنهم، ولا يعود للملائكة عمل معهم، ولكنهم لا يوضِّحون معنى ذلك تفصيلًا.

وهناك قول آخر ذهب إليه البعض يعتبرون أن الميت إن كان من أهل الصلاح دون مستوى الفئة الثانية (من مَحَضوا الإيمان) فإنه ينام وتفتح الملائكة على قبره نافذةً أو بابًا من الجنة فيأتيه من ريحها وروحها وسعادتها - والله وحده يعلم ما الذي يأتيه حينها - ينام ولا يستيقظ إلا عند النفخ في الصور، عندما يأذن الله سبحانه وتعالى بقيام الساعة. وكذلك القول إن كان من أهل الشر دون مستوى الفئة الأولى (من مَحَضوا الكفر) فإنه يُفتح على قبره كُوّة أو نافذة إلى جهنم، ويطاله شيء من نارها وحرارتها وظلمتها.

وهناك رأي آخر مفاده أن لا فارق بين أولاء وبين الفئة الأولى أو الثانية، لأن القاعدة تفيد أن قبر كل إنسان هو

إمّا روضة من رياض الجنّة أو حفرة من حفر النيران، لكن هناك فارقًا في مستوى عذاب هؤلاء أو نعيمهم، فعذابهم دون عذاب الفئة الأولى ونعيمهم دون نعيم الفئة الثانية.

ومن هذا القول ينطرح استفهام حول المنعّمين من أهل الفئة الثانية (كالشهداء والأنبياء) هل يُنعّمون في قبورهم بأن تُحوَّل قبورهم إلى روضة من رياض الجنة، كما حال المنعّمين من أهل الفئة الثالثة بحسب الرأي الثالث، أو أنّ هناك جنانًا برزخيةً يُحشرون إليها ويتنعّمون فيها؟ وكذا المعذّبين من أهل الفئة الأولى هل يعذّبون في قبورهم بأن تُحوَّل قبورهم إلى حفرة من حفر النار، أم أن هناك نارًا أو نيرانًا برزخيةً يُحشر إليها أمثال هؤلاء؟ في هذا التفصيل هناك روايات وآراء وأقوال مختلفة أيضًا.

موعظة للنفس والمؤمنين:

ما أريد الإشارة إليه في هذه النقطة هو أنه، وبمعزل عن صحة أي من الآراء الثلاثة، يكفي مجرد احتمال صحة الرأي الثالث - أنا مثلًا الآن أعتبر نفسي إن شاء الله

لست من الفراعنة وأرجو أن أكون من المؤمنين ولكني أعتبر نفسي من عامّة الناس، من هؤلاء الذين يُسأل عن حالهم، فبالنسبة لي هناك احتمال أن يُلهى عني واحتمال أن أُترك لأنام ويرجأ أمري إلى يوم الحساب، ولكن هناك احتمال آخر لا يقول ذلك - ما أقوله إنّه يكفي أن يكون هناك احتمال أن يكون القول الأخير الذي يقول إن كل قبر هو روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار، وأن النعيم أو الشقاء يبدأ مع الموت ولكن متناسبًا مع الوضع البرزخي مختلفًا عمّا في القيامة - يكفي هذا الاحتمال وحده ليجعلنا نعيش حالة قلق وهلع وخوف بل حالة حذر شديد. ففي النهاية كلنا معرضون للموت، في أي لحظة وفي أيّ مكان، وقد يموت أحدنا في مكان وزمان لا يتوقعه هو ولا غيره. كلّنا سنموت، والله يخاطب نبيه الأكرم بالقول: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾[1]، وهو أحبّ الخلق إليه. وكلنا بالتالي سيبلغ البرزخ، وسيصل إلى القبر الذي سيلبث

(1) سورة الزمر، الآية 30.

فيه مئات أو آلاف أو عشرات آلاف السنين، لأن أحدًا لا يعلم ميعاد قيام الساعة. إذًا، فالاحتمال الثالث ممكن بالمعنى المنطقي والعقلي، وتدل عليه مجموعة روايات، وكذا بعض الآيات، فما الذي جهزناه وما الذي حضّرناه له؟

هذا البرزخ - وكلامنا الآن محصور بموضوع البرزخ وسنأتي لاحقًا على تناول القيامة الكبرى والحياة الأبدية هناك - هذا القبر، بيت الظلمة، بيت الغربة، بيت الوحدة، بيت الوحشة، بيت الدود، بيت العجز والوهن، والجوع، والفقر، ماذا جهزنا وحضّرنا وأعددنا له؟ هذا السؤال الكبير الذي يتطلب منا كأفراد وأيضًا كجماعات أن نجلس ونفكّر ونتأمّل وندرس ونخطط ونبرمج ونعمل ونتابع في الليل وفي النهار، ونستغل كل دقيقة وكل ثانية وكل لحظة وكل يوم من عمرنا في العمل للتهيّؤ والتزوّد والجهوزية، كما نعمل على الجهوزية للحرب، وكما تجدنا نجلس ونخطط لمعالجة أوضاعنا الاقتصادية والمعيشية والاجتماعية والسياسية

والأمنية، وكما نخطط للزواج وللعلم وكيفية الحصول على مهنة، مثلما يأخذ كل ذلك منا هذا الوقت وهو عمل لسنوات قليلة في دنيا فانية، فالذي يستحق حقيقةً العمل والتحضير (وهو عالم القبر) ماذا أعددنا له؟ لهذا البيت الجديد، ما الذي جهّزناه وما الذي أرسلناه من أثاث وأموال وسلاح وإمكانات - طبعًا ذاك العالم يختلف - ماذا أرسلنا بعملنا الصالح؟ لأن عملنا الصالح هو الذي يبقى معنا منذ اللحظة الأولى.

وقد ورد في خبر مروي عن أهل بيت العصمة عليهم السلام[1]

---

(1) الخبر وارد في كتاب شجرة طوبى للمحدث الجليل الشيخ محمد مهدي الحائري دون نسبته إلى النبي صلى الله عليه وآله أو إلى أحد الأئمة بعينه، مضمونه: «يمثُل لابن آدم في حال احتضاره المال والأولاد والعمل، فيلتفت إلى ماله ويقول له: كنت حريصًا على جمعك وأضرب البر والبحر في الحر والبرد لتحصيلك وإني اليوم مفارقك ومحتاج إلى مساعدتك ومعاونتك فما تصنع؟ وكيف تساعدني؟ فيقول المال: خذ مني كفنك واذهب إلى قبرك وذلك قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾ [سورة القصص، الآية:77] وهو الكفن. فيلتفت إلى أولاده ويقول: والله لقد تعبت روحي ونفسي لكم وجمعت مالًا من حلال وحرام لأجلكم، وأغمضت في مطالبها وتحملت الشدائد والمكاره لحفظ شؤونكم وقضاء حوائجكم، فإني اليوم محتاج إليكم فأعينوني بما تستطيعون، فيقولون: نحن نشيعك إلى قبرك وحفرتك، ونودعك فيها، فإذا واريناك رجعنا إلى قصورنا ومكاننا ومنازلنا. فإذا أيس من المال والأولاد التفت إلى العمل الصالح ويقول: والله إني كنت كارهًا لك وعنك هاربًا وأكسل في الاشتغال بك، فالآن بقيت وحيدًا فريدًا فلا مال يعينني ولا وِلدي يدافعون عني فماذا أنت تصنع بي؟ فيقول: أنا معك ولا أفارقك في أي مكان تنزل، فأنا أمامك وقرينك وأنيسك، فيفرح بذلك». [انظر، شجرة طوبى، المجلس التاسع والثلاثون].

أن الإنسان بعد موته ينظر إلى ماله - هذا بعد الموت أو حين الاحتضار - فيقول له أنت الذي صرفت عمري في جمعك وتخزينك، بالحلال وبالحرام، فأنا الآن في مصيبة وأمامي رحلة طويلة فما الذي سأحصل عليه منك؟ فيقول له ماله: ستحصل مني على الكفن، الكفن فقط، وبقية المال سيأخذه الورثة. الإنسان سيُسأل عن هذا المال من أين أتى به، من الحلال أو من الحرام، ولكن الورثة هم من سيتمتع به في هذه الدنيا بمتعها المختلفة. ثم ينظر إلى أولاده وعياله، أحبائه، يقول: كنت أسقيكم وأطعمكم وأعلمكم وأربيكم، كنت أدافع عنكم، وكنت أحملكم على أكتافي، ما الذي سأحصل عليه منكم؟ فيقولون له: نحملك على أكتافنا - نشيّعك إلى حفرتك - إذًا لا يناله منهم إلا أن يحملوه ولا يتركوه في الشارع لتنتشر رائحة جسده. ثم بعدها يأتيه أحدٌ فيسأله: من أنت؟ هذا بعد أن يتركه ماله وأولاده وأحبابه وأهله، فيأتي هذا الشيء ويلتصق به لا يريد تركه، فيسأله من أنت وما علاقتك بي وأين رأيتك؟ هل أعرفك أم لا؟ فيقول له: نعم، أنا عملك،

ومن الآن فصاعدًا أنا معك ولا أغادرك لحظةً واحدة.

هـذا العمل إن كـان صالحًا فسيكون للإنسان ذخـرًا وعونًا وحـرزًا وقوتًا وغـوثًا. وإن كان عملًا سيئًا، من ظلم وطغيان وفساد ومعـاصٍ وقبائح وذنـوب، فالله وحـده المستعان على هذا القرين الذي لن يغادر صاحبه إلى ما شاء الله سبحانه وتعالى.

في الختام نقول - في هـذا الشق الأول - إنّـا نؤمن بوجود عالم برزخي، وحياة برزخية، فيها نعيم وعذاب، نعيمها طبعًا لا يُقاس به أي نعيم في الدنيا وعذابها لا يُقاس به أي عذاب في الدنيا، لكن ومع ذلك فإن نعيم الآخرة وعذابها أعظم من ذلك بكثير. إلا أن هذا العالم الذي ينتهي عند قيام الساعة له موازينه وقوانينه الخاصة، والعُمدة فيه العمل، فحتى مع القول بمبدأ الشفاعة، بشفاعة الأنبياء عليهم السلام للمذنبين والعاصين وبشفاعة أهل البيت عليهم السلام وبشفاعة الشهداء (رضوان الله تعالى عليهم) - ونحن ممن يؤمن بأن هـؤلاء لهم كرامة ومكانة ومقام عند الله سبحانه وتعالى يخولهم

الشفاعة لغيرهم - أقول حتى مع الإيمان بمبدأ الشفاعة إلا أن الروايات والأحاديث وأقوال العلماء أشارت إلى أن عالم البرزخ لا شفاعة فيه، فلا يُغني أن تقول أنا والد شهيد أو ابن شهيد، هذا كله لا ينفع، بل النافع فقط هو العمل الصالح، على غرار الآخرة التي يتفعّل فيها مبدأ الشفاعة، وتنفتح فيها أبواب الرحمة الإلهية، وتنتشر فيها الهَدايا الإلهية وينتشر اللطف الإلهي - والله وحده يعلم سعة انتشار رحمته في ذلك اليوم - ولذلك فعالم البرزخ عالم شديد لا يستهان به، ولذلك وجّهت الروايات إلى أنه في يوم القيامة من الممكن أن يساعد أحد الآخر أما في البرزخ فلا، لذلك فليسعَ الإنسان لنفسه، وليعمل لها لأن اعتماده في ذلك العالم لن يكون إلا عليها وعلى ما قدَّمه لها من عمل صالح، من العبادة والبر والتقوى والخير والجهاد والإخلاص والنقاء والطهارة.

إنه سفرٌ طويل يحتاج إلى كثير تحضير، وإلى ما يعين فيه، كما يحتاج سفر الدنيا إلى تجهيز ما يتناسب معه.

عند صعود الجبل، أو عند السفر في المناطق الجبلية عليك تجهيز ما يتناسب مع السفر الجبلي من ثياب، ووسيلة نقل، وأكل وشرب؛ أما هنا فنحن في سفر طويل، لمئات وآلاف السنين، له هذه الطبيعة، وفيه هذه القوانين والموازين، فيجب التزود له. فتزوّدوا يرحمكم الله وقد نودي فيكم بالرحيل وخير الزاد التقوى.

الفصل الثاني

ختام المطاف
أحوال القيامة الكبرى وأهوالها

نستكمل فيما يلي من كلام الحديث عن مسألة الحياة بعد الموت، ويوم القيامة، وأحداث يوم القيامة، ساعين لاختصار الموضوع ما أمكن، مفصلين في بعض العناوين مجملين في بعض آخر، وسنتّكئ في هذا المبحث بشكل أساس على الآيات القرآنية الكريمة، ذاك أن القرآن الكريم هو أوثق مصدر يمكن الاعتماد عليه في تناول ذلك اليوم لكونه من أنباء الغيب التي لا يمكن معرفتها إلا بالأخبار الموثوقة.

وقبل الخوض في تفصيل المبحث واستعراض مطالبه، أقدم للمبحث بإيجاز واختصار وذاك لما أجد فيها من نفع سواء في خصوص موضوع معالجتنا هنا أو في فهم المسائل القرآنية عمومًا.

مقدمة: الاستعمال اللغوي بين الحقيقة والمجاز:

إن من المعلوم لنا جميعًا أن الله سبحانه وتعالى أنزل القرآن الكريم بلغة العرب، وبالتالي فإن على الراغب في فهم القرآن ومعاني آياته الشريفة أن يكون عارفًا باللغة العربية وقواعدها، وذاك ضروري لفهم معاني الكلمات والجمل كما والتراكيب التي قد يختلف باختلافها معنى عبارة أو كلمة. ومن هنا سنتعرّض في الآتي إلى أقسام الاستعمال اللغوي للألفاظ.

قسّم علماء اللغة العربية استعمالات الألفاظ إلى قسمين: فأحيانًا يستعمل الناس عبارةً في سبيل إيصال معنى ما، ويكون مرادهم إيصال المعنى نفسه الذي وضع له اللفظ أساسًا، مثلًا نستعمل لفظ جبل لنوصِّف الجبل بمعناه الحقيقي الذي هو المركب الصخري المرتفع، ونستعمل لفظ القمر لندل على الكوكب الصغير التابع للأرض الذي يدور حولها ويظهر في الليل منيرًا، ونستعمل لفظ البحر لندل على البحر المائي الذي نعرفه كلنا، وإذا رأينا في الغابة أسدًا نقول هنالك أسد في الغابة. استعمال ألفاظ جبل وقمر وبحر وأسد في الأمثلة السابقة

كان في الدلالة على المعاني الأساسية التي وضعت لها هذه الألفاظ، وهذا القسم من الاستعمال اللفظي يسمى بـ«الاستعمال الحقيقي»، والألفاظ هنا تسمى حقيقةً.

وأحيانًا، ونتيجة وجود صلة معنوية بين معنًى ما وبين معنًى آخر بأن يكون هناك اشتراك في جوانب من كِلا المعنيين واتصال ومناسبة، فإنه يصح استخدام لفظ موضوع للمعنى الأول في الدلالة على المعنى الثاني، فتجدنا نستخدم لمعنى ما لفظًا موضوعًا لمعنى آخر مشترك معه في جهة من جهاته. مثلًا: إذا رأينا شخصًا قويًّا ثابت العزم نقول رأيت جبلًا، ولا يكون مقصودنا الجبل المكون من التراب والرمل، بل مقصودنا ذاك الرجل الصلب والثابت والراسخ كالجبال، وكما ترى فإن الاستعمال هذا يصح في اللغة لأن هناك بين المعنيين اشتراكاً فكلاهما (الجبل وهذا الرجل) يتمتع بالصلابة والشدة. ومثلًا إذا رأينا شخصًا جريئًا شجاعًا مقدامًا في الحروب نقول إن فلانًا أسد، ولا نريد بذلك أنه ذاك الحيوان المفترس، بل استعملنا هذا اللفظ لوجود جهة اشتراك هي الشجاعة.

وغيرها الكثير من الأمثلة كثير. في هذه الحالات لم يكن استعمالنا للألفاظ للدلالة على معانيها الحقيقية، بل على معاني أخرى تشترك معها في جوانب محددة. هذا القسم من الاستعمال يسمى بـ«الاستعمال المجازي»، والألفاظ هنا تسمى مجازًا. والاستخدام هذا كما تعلم شائع عند جميع أهل اللغة، ولا يختص بفئة.

ونلفت هنا إلى أن الاستعمالات اللغوية تُحمل عادةً على المعاني الحقيقية، وإذا أراد المتكلم إفادة معاني أخرى (التي سميناها بالمعاني المجازية) فإن عليه أن يقدم قرينةً أو إشارةً أو دليلًا ليبيّن ذلك.

الحقيقة والمجاز في القرآن الكريم:

المقدمة السابقة يجب ملاحظتها في تعاطينا مع النص القرآني، لأن القرآن عندما نزل بلغة العرب فإنه كان نموذجًا راقيًا للبلاغة وحسن البيان، وفيه من الاستعمال الحقيقي والمجازي، فلا تحمل جميع الألفاظ المستخدمة فيه على معانيها الحقيقية، فيجب الالتفات. ومثالًا على ذلك، نقرأ قوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي

﴿ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا﴾[1]، وإنه لمعلوم أن لفظ الأعمى معناه الشخص الفاقد لقدرة الإبصار، إما خَلقًا أو نتيجة حادث ما، ففي المثال هذا لو كان استعمال لفظ الأعمى استعمالًا حقيقيًّا لكان ذلك منافيًا لحكمة الله سبحانه وعدله، إذ ما ذنب من ابتُلي في هذه الدنيا وأصيب بالعمى حتى يحشر يوم القيامة أعمًى ويكون أضل سبيلًا؟ إن توجيه المسألة الصحيح لا يكون إلا بأن نعتبر استعمال لفظ الأعمى هنا استعمالًا مجازيًا يُقصد فيه من كان أعمى القلب أي كان ضالًّا ومنحرفًا.

كما ونقرأ في بعض الآيات عبارة ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ﴾[2]، إلا أننا نؤمن بأن الله سبحانه ليس بجسم، وبأنه ليس كمثله شيء، ونعلم أن اليد في الاستعمال الحقيقي تعني جزءًا من الجسم، فلا يصح توجيه فهمنا لهذه الآية إلا باعتبار استعمال لفظ اليد هنا استعمالًا مجازيًا، يفيد معنى القدرة، لأن فعالية القدرة تكون بإعمال اليد.

---

(1) سورة الإسراء، الآية 72.

(2) سورة الفتح، الآية 10.

فاللغة العربية، إذًا، لغة بليغة ومفتوحة على استعمالات مختلفة، والقرآن نزل بهذه اللغة، فبعض الآيات علينا أن نحمل ألفاظها على معانيها الحقيقية، وبعضها الآخر تُحمل ألفاظها على المعاني المجازية، إن وجد دليل أو قرينة أو إشارة أو علامة تدل على ذلك.

مؤشرات القيامة الكبرى وأحداثها:

نعود، بعد هذا التقديم، إلى موضوع معالجتنا وهو مسألة قيام الساعة، وهي المرحلة الأخيرة والكبرى، هذا بعد أن سبق وتناولنا في الفصل الأول مسألة عالم البرزخ.

ونقول بادئ ذي بدء إنّ زمان قيام الساعة أمر لا يعلمه أحد إلا الله سبحانه وتعالى، فهو من الغيب الذي اختصّ الله به نفسه، إذ من الغيب ما أطلع الله عليه أنبياءه عليهم السلام ورسله، وهم بدورهم أطلعوا الناس عليه، ومنه ما اختصّ الله به نفسه، فلم يُطلع عليه أحدًا من أنبيائه أو أوليائه أو ملائكته، ومن جملته زمان قيام الساعة. ولذلك فإن أحدًا لا يعلم زمان قيام الساعة - بعد سنة، أو

مئة سنة، أو ألف أو عشرة آلاف... - وقيامها يكون بغتةً، بل إن من علائمها الخاصة ومواصفاتها المميزة أنها تأتي بغتة، وبحسب الروايات فإن الناس يكونون حال قيامها في شغل عنها بشؤون حياتهم اليومية، فتأتيهم على حين غفلة دونما توقع من أحد[1].

---

(1) ما يورده سماحة السيّد هنا ثابت ووارد صراحةً في نص القرآن الكريم كما وفي المروي عن أهل بيت العصمة. أما في القرآن، فمنها قوله تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا۟ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [سورة الأنعام، الآية 31]، وقوله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة الأعراف، الآية 187]، وقوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [سورة الزخرف، الآية 66]، وغيرها الكثير مما ورد في موارد مختلفة من السور القرآنية. وأما في المروي عن أهل بيت العصمة عليهم السلام، فمنه ما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «يكون في آخر الزمان فتن كقطع الليل المظلم، فإذا غضب الله تعالى على أهل الأرض أمر الله سبحانه وتعالى إسرافيل أن ينفخ نفخة الصعق، فينفخ على غفلة من الناس، فمن الناس من هو في وطنه، ومنهم من هو في سوقه، ومنهم من هو في حرثه، ومنهم من هو في سفره، ومنهم من يأكل فلا يرفع اللقمة إلى فمه حتى يخمد ويصعق، ومنهم من يحدّث صاحبه فلا يتم الكلمة حتى يموت». [معالم الزلفى في معالم الدنيا والأخرى، الجملة الرابعة، الباب السادس، الحديث 8]، ومنها ما ورد في تفسير القمي في قوله تعالى ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ [سورة يس، الآية 49]، قال: «ذلك في آخر الزمان، يصاح فيهم صيحةً وهم في أسواقهم يتخاصمون، فيموتون كلهم في مكانهم، لا يرجع أحد منهم إلى منزله، ولا يوصي بوصية». [تفسير القمي، تفسير الآية 49 من سورة يس]، وينقل صاحب تفسير الميزان في بحث روائي يقول: «وفي المجمع في الحديث تقوم الساعة والرجلان قد نشرا ثوبهما يتبايعان فما يطويانه حتى تقوم الساعة، والرجل يرفع أُكلته إلى فيه حتى تقوم الساعة، والرجل يليط [أي يملأ] حوضه ليسقي ماشيته فما يسقيها حتى تقوم». [الميزان في تفسير القرآن، تفسير الآيات 48 إلى 65 من سورة يس، البحث الروائي]، وغيرها.

ولكن، ما هي الأحداث التي ستقع عند إذن الله سبحانه بقيام الساعة؟

عن ذلك تجيبنا النصوص بأن الأحداث تلك على قسمين، فمنها ما له علاقة بالمخلوقات الحية على اختلافها ومنها نحن، البشر، ومنها ما له علاقة بموجودات الكون الطبيعية غير الحية، كالشمس والقمر والجبال والبحار وغيرها.

على أن نشير إلى أن الطابع العام المميز لهذه الأحداث والطاغي عليها، من أولها إلى آخرها، هو انتشار مشاعر الفزع والخوف والذهول والرعب والهلع والقلق على المصير، والمشاعر هذه ترافق الإنسان منذ بدء الأحداث إلى أن يُحسم الموقف ويدخل أهل الجنةِ الجنةَ وأهل النارِ النارَ. يقول الله في أول سورة الحج: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَـٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَـٰرَىٰ وَلَـٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾[1].

(1) سورة الحج، الآيتان 1 و2.

حال الأحياء من الموجودات في يوم القيامة:

نأتي الآن للنوع الأول من الأحداث الذي له علاقة بالمخلوقات الحية ومنها البشر. القرآن الكريم يخبرنا بأنّ الله سبحانه وتعالى يأمر عندما يقيم الساعة بإماتة كلّ حيّ، من بشر وجن وملائكة وحيوانات، ولا يبقى في الوجود حيٌّ إلا هو سبحانه وتعالى، ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾[1].

وهنا لا نتحدّث فقط عن الموجودات الأرضية، لأنا نعلم أن من الأحياء ما لا ينحصر وجوده وحياته في الأرض، كالملائكة فهم في الأرض وفي السماء وفي غيرها من نشآت الوجود، والجن فهم في نشآت وجودهم الخاصة المجردة، وغيرها، وكلهم سيصيبهم الموت، وحتى أموات الأرض الأحياء في عالم البرزخ، فإنهم مشمولون في ذلك. فالله سبحانه يميت حينها كل حيّ، سواء كان موجودًا في دار الدنيا أو في عالم البرزخ، أو في غيرها من العوالم.

---

(1) سورة الرحمن، الآيتان 26 و27.

كيف يميتهم الله؟

تتحدث الآيات القرآنية في هذا الخصوص عن مسألتين هما: الصيحة، الموصوفة بقوتها وعظمتها والتي تصل في لحظة واحدة إلى كل حيّ في هذا الوجود، فتميته؛ والنفخ في الصور، وهو ما ورد في القرآن بالعبارة، يقول الله تعالى في كتابه المجيد: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾[1].

والصور بحسب اللغة العربية هو البوق، وقد أجاب رسول الله ﷺ عند سؤاله عن الصور بأنه البوق الذي يُنفخ فيه. والبوق وسيلة قديمة اعتُمدت في القديم من الزمن قبل اختراع مكبّرات الصوت، كانت تستعمل في الجيوش عند إرادة استنفار العسكر المبعثرين المشتتين وتجميعهم فينفخ فيه ليسمع كل من في المعسكر ويسارعوا إلى نقطة التجمّع، أو لتجميع أهل بلد بغية إبلاغهم بشيء، فيجتمعون عند النفخ فيه. فالبوق، إذن،

(1) سورة الزمر، الآية 68.

وسيلة معروفة منذ خلقِ اللهِ آدمَ إلى ما قبل عشرات السنين بل ما زالت بعض الأقوام تستعمله حتى يومنا، والصور هو البوق.

لكن هل المقصود هنا - كما في بعض الروايات والأقوال - أن إسرافيل أحد الملائكة العظام والكبار سيحمل بوقًا وينفخ فيه - على أن أحدًا لا يعرف ماهية هذا البوق أو حجمه ومواصفاته، أو خصائصه الفيزيائية - فيصل الصوت الذي ينطلق من البوق إلى كلّ حيّ ويميته[1]؟ قد يكون هذا المعنى هو المقصود، وقد يكون ورود ذكر النفخ في الصور من قبيل الاستعمال المجازي الذي أشرنا

(1) عن هذا المعنى تحدثت مرويات عديدة، نذكر منها ما ورد عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام أنه قال في كلامه عن أحوال قيام الساعة: «يأمر الله إسرافيل فيهبط إلى الأرض ومعه الصور، وللصور رأس واحد وطرفان، وبين طرف كل رأس منهما ما بين السماء والأرض [...] فينفخ فيه نفخةً فيخرج الصوت من الطرف الذي يلي أهل الأرض، فلا يبقى في الأرض ذو روح إلا صعق ومات، ويخرج الصوت من الطرف الذي يلي أهل السماوات، فلا يبقى ذو روح في السماوات إلا صعق ومات إلا إسرافيل، فيمكثون في ذلك ما شاء الله». [معالم الزلفى، الجملة الرابعة، الباب السادس، الحديث 1]، وما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «يكون في آخر الزمان فتن كقطع الليل المظلم، فإذا غضب الله تعالى على أهل الأرض أمر الله سبحانه وتعالى إسرافيل أن ينفخ نفخة الصعق، فينفخ على غفلة من الناس». [المصدر نفسه، الجملة الرابعة، الباب السادس، الحديث 8]، وهي دالة بوضوح على المعنى الذي أورده سماحة السيد.

إليه في البداية، إذ استخدام البوق كما ورد يكون لتجميع الناس، والمعنى المقصود هو الصيحة التي يخلقها الله سبحانه وتعالى بقدرته اللامتناهية العظيمة[1]. وهناك لكل من الرأيين من يقول به من العلماء، ولكن الثابت هو النتيجة المترتبة. والنتيجة هي أن هناك صوتًا قويًا مرعبًا مخيفًا سيبلغ كل عقل وقلب وذي روح، فيُصعق من في السماوات والأرض. والصعق معناه الغشية، والغشية عادةً قد تكون مميتةً وقد لا، ولكن هذه تكون مميتةً لكل هؤلاء، وهو قوله تعالى ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾[2].

وقد استوقف بعض المفسرين قوله ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ﴾ فاعتبروا أن بعض الخلائق معفيّ من موت الصعقة ولكن اختلفوا في تحديدهم، فهم جبرائيل وميكائيل وإسرافيل

(1) وهذا المعنى أيضًا دلّت عليه بعض المرويات، منها ما ورد عن النبي ﷺ عندما سأله أحدهم عن الفزع الأكبر أنه قال: «إن الناس يُصاح بهم صيحة واحدة، فلا يبقى ميت إلا نُشر، ولا حي إلا مات، إلا ما شاء الله»، [انظر، معالم الزلفى، الجملة الرابعة، الباب السادس، الحديث 2].

(2) سورة الزمر، الآية 68.

وعزرائيل بحسب البعض، وكبار الملائكة بحسب بعض آخر، والشهداء كما في بعض الروايات. ولكننا نجد غيرهم من المفسرين يعتبر أن العبارة هذه وردت من قبيل الاحتفاظ بالحقّ فقط، والتعبير عن القدرة المطلقة، وإلا فالواقع أنه يُصعق كل من في السماوات والأرض دون استثناء. وفي كل الأحوال، فإن كل حي - ما خلا المستثنَين إن صح الرأي الأول - يُصعق ويموت ولا يبقى حيّ سوى الله سبحانه.

وبالتزامن مع هذا الحدث الأول، المرتبط بالمخلوقات وبالأحياء، أو قبله أو بعده، تقع أحداث أخرى لها صلة بالوجود وبالكون. وسنأتي في التالي على ذكر عدد من الآيات المشيرة إلى تلك الأحداث، ولكن الأفضل تقديم تلخيص للمشهد نستغني به عن الحاجة إلى تفسير الآيات، ثم نعرض الآيات فتكون واضحة المعنى للقارئ.

المشهد الكوني في القيامة:

ما الذي سيحدث في المشهد الكوني؟

الشمس - مصدر النور والدفء والحياة في منظومتنا

الشمسية، مضافًا إلى عدد من الفوائد المترتبة على كل وجودنا الأرضي - نقول: الشمس هذه في ذلك اليوم تُكوَّر، أي تُلف وتطوى وتُحجب ويُطفأ نورها، وعند انطفائها لا يبقى للقمر نورٌ لأنه يكتسب نوره من الشمس، ويعمّ الظلام الأرض، بل كل منظومتنا الشمسية وكل ما يستضيء بنور هذه الشمس.

أما الكواكب في السماء، والنجوم، فإنها تُطمس وينطفئ نورها وتتبعثر وتتناثر وتتساقط وتتهاوى وتتلاشى وتندثر، وهذا معنى قوله أن الكواكب تنكدر، وهذا أمر ممكن علميًّا، فهناك شيء يسمى -وذلك قد تشاهدونه في بعض المحطات العلمية- بموت النجوم، وموت الكواكب، ولعل ذلك من معاني ما مر.

وأما السماء، هذه السماء المرفوعة فوق رؤوسنا، فإنها تتفتّح وتنشق وتنفطر.

والجبال، فإنها تُنسف وتستحيل رمالًا، كثيبًا مهيلًا - أي مثل كثبان الرمل حتى إنها تطير بفعل الهواء - وتُدكّ مع الأرض دكّةً واحدة. ولو أردنا تقريب صورة المشهد، فيكفينا تخيّل جبل يُدك، وتخيّل ما قد يحدثه ذلك من

الهول وما سيبثه في القلوب من الرعب، فكيف بمشهد تندَّك فيه كل جبال الأرض في لحظة واحدة، أي قلوب وعقول تستطيع احتمال ذلك؟

وأما الأرض، فإنها تُرجّ وتزلزل وتُدكّ، وتُخرج ما في بطنها، وتُمدّ. الأرض تصبح أرضًا ممدودةً، لا جبال فيها ولا وديان ولا اعوجاج، ولا مرتفع ولا منخفض، أرض منبسطة ممدودة تُمهّد لتكون صحراء المحشر الذي يُجمع فيه ملايين البشر والمخلوقات.

ثم البحار، فإنها تُفجّر وتُسجّر وتُضرم بالنار، تشتعل مياهها وتتبخّر. لا يبقى بحار ولا تبقى جبال ولا وديان ولا شجر، لا يبقى للحياة مظهر.

ما الذي نفهمه من هذه المشاهد القرآنية؟

ما تدل عليه هذه الآيات هو أن الله سبحانه وتعالى لا يُفني الكون بل يعيد تكوينه وبناءه، وفق نظام جديد وفي منظومة جديدة. ومن الممكن لسائل أن يسأل فيما خص الأرض بعد تبدلها والتي سيحشر إليها الناس، أيحشر الناس إليها ويحاسبون في ظلام دامس، إذ لا شمس يومها

ولا قمر ولا نجوم، وعن ذلك يأتي الجواب بأن الله سبحانه في تلك المنظومة الجديدة يخلق النور مباشرة، نور يضيء لكل أهل المحشر، ﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾[1].

إذًا، نحن في يوم القيامة أمام كونٍ جديد، ووجود جديد، وطبيعة جديدة - ولكنها طبيعية فيها أرض، ونور وإضاءة وغيرها من العناصر - ثم لاحقًا يأتي الكلام على جنة ونار. وإن لهذا الوجود الجديد كما ذكرنا قوانينه المختلفة عن قوانين كوننا من قوانين الفيزياء والكيمياء والطبيعيات والطب والهندسة والرياضيات وكل ما له علاقة بالفلك، هو كون مختلف بأنظمته وموازينه وسننه عما كان عليه الكون قبل قيام الساعة، ولذلك يقول الله تعالى: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾[2]، فنحن أمام أرض جديدة وسماوات جديدة كوّنها الله أو أعاد تكوينها وتنظيمها وترتيبها بعد زوال واندكاك عناصر هذا الكون.

---

(1) سورة الزمر، الآية 69.

(2) سورة إبراهيم، الآية 48.

وقفة تأملية على شواهد النص القرآني:

بعد أن قدّمنا صورةً عامةً عن حال الكون يوم القيامة، سنعمد ههنا إلى استعراض بعض الشواهد من الآيات القرآنية، لنقف عليها موقف المتأمل، فعسى بذلك تتم الفائدة، على أن لا نسهب فيها الكلام بشرح وتفصيل، بل العرض هنا سيكون تكميلًا للصورة المعطاة أعلاه.

يقول الله سبحانه في سورة الواقعة: ﴿ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴾، وللقارئ أن يتصور الآن حدوث زلزلة بسيطة للأرض ويتصور مستوى الهلع والخوف الذي سيحيط بالناس. إن زلزلةً بسيطةً في منطقة ما لا تدوم لنصف دقيقة قد تحيل أهلها شتاتًا هائمين على وجوههم في شوارعها، تتساقط الأبنية من حولهم، وتتشقق الأرض من تحتهم. فكيف إذا كانت الأرض برمّتها،كل الأرض في لحظة واحدة، يرجّها الله رجًّا، كيف سيكون المشهد؟

﴿ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا * وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا * فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴾[1]، هذا من سورة الواقعة.

(1) سورة الواقعة، الآيات 4 - 6.

وفي سورة المرسلات: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ * فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ * وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ * وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ نُسِفَتۡ﴾[1].

وفي سورة الحاقّة: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ﴾ - هي نفخة واحدة ولا حاجة لغيرها ليميت كل الأحياء - ﴿وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾- لا على مراحل بأن تحدث مجموعة زلازل بل دكّتا دكّـةً واحدة -﴿فَيَوۡمَئِذٖ وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ * وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوۡمَئِذٖ وَاهِيَةٞ﴾[2]، لماذا تنشق السماء وتصبح واهية وتتحلل؟ المقصود أن الغلاف الجوي الذي يحمي الكرة الأرضية من النيازك والنجوم والأحجار الساقطة من السماء، هذه السماء كلها تنشق وتنفرج وتفتح، وكل الهول الذي نشاهده في الأفلام الوثائقية العلمية يسقط دفعةً واحدة على الأرض.

ويقول في سورة المزمل: ﴿يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلۡجِبَالُ كَثِيبٗا مَّهِيلًا﴾[3]، أي تصبح مفتتةً ككثبان الرمال.

(1) سورة المرسلات، الآيات 7 - 10.

(2) سورة الحاقة، الآيات 13-16.

(3) سورة المزمّل، الآية 14.

وفي سورة الانشقاق: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ * وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ * وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ * وَأَلۡقَتۡ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتۡ﴾(1).

وفي سورة الانفطار: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ * وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ * وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ * وَإِذَا ٱلۡقُبُورُ بُعۡثِرَتۡ﴾(2).

ثم في سورة القارعة: ﴿ٱلۡقَارِعَةُ﴾- أي القيامة التي تقرع القلوب والعقول والأرواح - ﴿مَا ٱلۡقَارِعَةُ * وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ * يَوۡمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلۡفَرَاشِ ٱلۡمَبۡثُوثِ﴾- أي كالفراشات المنتشرة الضائعة التائهة - ﴿وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ٱلۡمَنفُوشِ﴾ - أي الجبال الصلبة تصبح كالصوف المنفوش - ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ * فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ * وَأَمَّا مَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ * وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ * نَارٌ حَامِيَةُۢ﴾(3).

وفي سورة الزلزلة: ﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا﴾ - وهو الزلزال الحقيقي الذي ستكون كل زلازل الأرض شيئًا تافهًا بالمقارنة به - ﴿وَأَخۡرَجَتِ ٱلۡأَرۡضُ أَثۡقَالَهَا * وَقَالَ ٱلۡإِنسَٰنُ

---

(1) سورة الانشقاق، الآيات 1 - 4.

(2) سورة الانفطار، الآيات 1 - 4.

(3) سورة القارعة، الآيات 1 - 11.

مَا لَهَا ﴾ - مذهولًا حائرًا - ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا * بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا * يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴾[1].

وفي سورة التكوير: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ - وهذا من أضخم الأحداث التي تحصل يومها وهو انطفاء الشمس واحتجابها - ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ * وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ * وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ * وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ * وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾ - أي تُضرم بالنار - ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ * وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ * وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ * وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴾- وقد يكون المقصود هنا ما ذكرناه عن الغلاف الجوي نفسه - ﴿وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴾ - وهذه تكملة للمشهد حيث تبدأ جهنم بالغليان تحضّرًا لاستقبال ضيوفها - ﴿وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴾ - انظروا الجحيم سُعّرت، والجنّة تُجهّز وتُهيّأ كما تهيّأ القصور للضيوف الكرام - ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴾[2].

بعد هذه الأحداث الكونية كلها - التي قد تقع جملةً

(1) سورة الزلزلة، الآيات 1 - 6.

(2) سورة التكوير، الآيات 1 - 14.

وقد يقع بعضها فقط - ينتهي وجود الأحياء، ونصبح أمام كون جديد. والله أعلم كم من الزمن سنمكث حتى يشاء الله أمرًا آخر وهو أمر الإحياء وبعث المخلوقات والبشرية للحساب - ساعات، أيام، سنوات، آلاف السنوات - فهو من الأمور الغيبية التي لم يخبرنا بها القرآن الكريم، ولا أحد يقطع ويوقن في الإجابة على هذه المسألة، بل إلى أن يشاء الله سبحانه وتعالى أن يقيم القيامة الكبرى[1].

---

(1) نعم لم يخبرنا القرآن الكريم عن المدة المتخلّلة بين إماتة الخلائق وإعادة بعثهم، فالمسألة هذه تعتبر من الغيبيات التي لا يعلمها إلا الله، إلا أنه ورد في بعض كلام المعصومين ما يشير إلى المسألة إشارةً مبهمة دون تحديد للمدة، فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إذا أمات الله أهل الأرض لبث كمثل ما خلق الخلق ومثل ما أماتهم أضعاف ذلك، ثم أمات أهل السماء الدنيا، ثم لبث مثل ما خلق الخلق ومثل ما أمات أهل الأرض وأهل السماء الدنيا، ثم أمات أهل السماء الثانية، ثم لبث مثل ما خلق الخلق ومثل ما أمات أهل الأرض والسماء الدنيا والسماء الثانية وأضعاف ذلك، ثم أمات أهل السماء الثالثة، ثم لبث مثل ما خلق الخلق ومثل ما أمات أهل الأرض وأهل السماء الدنيا والسماء الثانية والسماء الثالثة وأضعاف ذلك، في كل سماء مثل ذلك وأضعاف ذلك. ثم أمات ميكائيل، ثم لبث مثل ما خلق الخلق ومثل ذلك كله وأضعاف ذلك، ثم أمات جبرائيل، ثم لبث مثل ما خلق الخلق ومثل ذلك كله وأضعاف ذلك، ثم أمات إسرافيل، ثم لبث مثل ما خلق الخلق ومثل ذلك كله وأضعاف ذلك، ثم أمات ملك الموت، ثم لبث مثل ما خلق الخلق ومثل ذلك كله وأضعاف ذلك، ثم يقول الله عز وجل: لمن الملك اليوم؟ فيردّ على نفسه: لله الواحد القهّار، أين الجبارون؟ وأين الذين ادّعوا معي إلهًا آخر؟ أين المتكبرون ونحوهم؟ ثم يبعث الخلق»، [انظر، تفسير القمّي، تفسير الآية 16 من سورة غافر].

إحياء الموتى وإعادة بعثهم:

نعود هنا للكلام على حال البشر في ذلك اليوم، لنقف على مسألة إعادة إحيائهم، بعد أن تناولنا مسألة الإماتة. وينقسم الحديث على مسألة الإحياء - بالتقسيم المذكور نفسه في خصوص الإماتة - إلى قسمين، الأول يطرح صيغةً تتحدث عن صيحة - قوية، هائلة، هادرة - تُحيي كل الموتى وتُخرجهم من القبور، والثاني عن نفخة في الصور، وهي النفخة الثانية، تحيي الموتى وتقيمهم من القبور والأجداث، هي نفخة البعث وإعادة الحياة[1].

يقول الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يَنسِلُونَ﴾[2]. والأجداث تعني القبور. وليتصور القارئ مشهد الأرض تغصّ بالقبور، بين من تمّ دفنهم في القبور ومن دفنوا بفعل سقوط الكواكب والنجوم والجبال والزلازل،

---

(1) وبإمكان القارئ الاطلاع على نصوص المرويات التي أشرنا إليها في هوامش سابقة ليرى أن فئة المرويات التي تذكر إسرافيل ونفخه في الصور كعامل لإماتة الخلائق هي تذكر أيضًا نفخته الثانية فيه لإعادة إحيائهم، كما وأن الفئة التي تشير إلى مسألة الصيحة كعامل للإماتة هي تذكر الصيحة أيضًا كعامل لإعادة إحيائهم.

(2) سورة يس، الآية 51.

كلهم راقد في بطن الأرض. ثم ليتصوّر هؤلاء يعودون إلى الحياة، أجسادهم تلتئم من جديد، وتُبعث فيها الحياة، تُعاد الأرواح إليها، وتُفتح القبور لتخرج الناس منها - آلاف ملايين البشر في لحظة واحدة يخرجون مذهولين مرعوبين.

والمذكور هذا ممكن معقول، بل قد وقع في الزمن السالف، إذ يروى أن السيد المسيح عليه السلام مرَّ يومًا بجانب قبر فسأل الله سبحانه أن يحيي الميت القابع فيه، فأذن الله له، فناداه فانشق القبر وخرج الميت من قبره، رآه شائبًا مرعوبًا مذهولًا، سأله عن وقت شيبته، فأجابه أنه قد شابَ في الحال لظنه أنه يوم الخروج. هو ظنّ أنه يوم الخروج. فكيف بيوم الخروج الحقيقي؟

نكمل مع الآيات، قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾، أي يذهبون إلى ربهم وإلى المكان الذي سيُحشرون فيه، وينسلون بمعنى يسرعون في الانفصال عن قبورهم، ﴿قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾[1]، فقد علموا إذًا

(1) سورة يس، الآية 52.

أحقية الموضوع وأنه ليس بالهزل. الأنبياء والرسل كانوا قد أنذروهم ولكنهم لم يصدقوهم، كانوا في غفلة من ذلك.

﴿إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ جَمِيعٞ لَّدَيۡنَا مُحۡضَرُونَ﴾[1]، وهذا من عظمة الله سبحانه وتعالى. نحن إذا أردنا جمع بضعة آلاف فكم سيحدثون من الإرباك. أو إذا أرادت دولة تنظيم مسيرة مليونية فإن أجهزتها كلها يجب أن تعمل لتنظيم تلك المسيرة ومنع وقوع الفوضى. الله سبحانه وتعالى بصيحة واحدة يحشر آلاف ملايين البشر وأكثر - وهو وحده يعلم عددهم - في صحراء المحشر.

ويقول تعالى في موضع آخر: ﴿يَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلۡأَرۡضُ عَنۡهُمۡ سِرَاعٗاۚ ذَٰلِكَ حَشۡرٌ عَلَيۡنَا يَسِيرٞ﴾[2]، يخرجون من قبورهم، تتشقق الأرض ويخرجون منها مسرعين إلى ذلك المكان. وكل ذلك على الله يسير.

---

(1) سورة يس، الآية 53.

(2) سورة ق، الآية 44.

﴿يَوۡمَ يَسۡمَعُونَ ٱلصَّيۡحَةَ بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُرُوجِ﴾[1]، حيث تسعى جموع الناس من القبور إلى مكان السؤال والحساب المفروض للوقوف بين يدي الله سبحانه، يخرجون من قبورهم دون أكفان - إلا استثناءات ذكرت في المرويات[2] - حفاة عراة. والإمام زين العابدين عليه السلام يقول في الدعاء في وصف حال الإنسان في ذلك اليوم: «أنظر مرةً عن يميني وأخرى عن شمالي إذ الخلائق في شأن غير شأني»[3]. فلا ينظر أحد إلى أحد، ولا يهتم أحد لأمر أحد، كل مشغول بنفسه مرعوب قلبه وعقله، مذهول، قلق على مصيره ومستقبله، على السؤال

---

(1) سورة ق، الآية 42.

(2) منها ما ورد في تفسير القمّي: «سأل علي عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وآله عن تفسير قوله: ﴿يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدٗا﴾، قال: يا علي إن الوفد لا يكون إلا ركبانًا، أولئك رجال اتقوا الله فأحبهم الله واختصهم ورضي أعمالهم فسماهم الله المتقين، ثم قال: يا علي أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنهم ليخرجون من قبورهم وبياض وجوههم كبياض الثلج عليهم ثياب بياضها كبياض اللبن، عليهم نعال الذهب شراكها من لؤلؤ يتلألأ». [تفسير القمي، تفسير الآية 85 من سورة مريم]، وما ورد عن الإمام الكاظم عليه السلام أنه قال: «لا يخرج وليّنا من الدنيا إلا واللهُ ورسولهُ ونحن راضون عنه، يحشره الله على ما فيه من الذنوب مبيضًا وجهه، مستورة عورته، آمنة روعته، لا خوف عليه ولا حزن». [معالم الزلفى، الجملة الرابعة، الباب الخامس عشر، الحديث 4]، وغيرها من المرويات.

(3) المقطع المذكور مقتطف من دعاء أبي حمزة الثمالي المروي عن الإمام زين العابدين عليه السلام والوارد في أغلب كتب الأدعية.

والحساب والوقوف بين يدي الله، ويقفون بين يدي الله سبحانه وتعالى طويلًا.

والآيات القرآنية تصف حال الناس يومذاك تقول: ﴿ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ﴾[1]، وهو تعبير عن شدّة الخوف، وتقول: ﴿وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾[2]، وهو أبلغ تعبير عربي عن الخوف، فالقلوب لدى الحناجر، كاظمين، لا يستطيعون كلامًا، ولا يستطيعون التنفس، إلا بإذن من الله سبحانه، يعم السكون، ويسيطر الهول.

ويقفون طويلًا طويلًا - ونحن لا علم لنا بمقدار ذاك اليوم لأن نظام الأرض إذ ذاك يتغير ولا يبقى مقدار اليوم كما نعهده الآن، وقد ذكرنا ذلك سابقًا، بل اليوم هناك مختلف والأحقاب والسنوات تختلف كما ورد في القرآن الكريم - حتى يأذن الله سبحانه وتعالى ويأمر بالسؤال والحساب.

---

(1) سورة غافر، الآية 18.

(2) سورة الأحزاب، الآية 10.

الوقوف بين يدي الله للحساب:

إذًا، لا يعلم أحد المدة الفاصلة بين حشر الناس في صحراء المحشر، وقوفًا، عراةً، حفاةً، يتصبب منهم العرق، يملؤهم الرعب، يعانون الجوع والعطش، وبين المباشرة بالحساب والسؤال، ولذلك وُصف يوم القيامة بيوم الجوع الأكبر، ويوم العطش الأكبر، ويوم الفزع الأكبر. وقد حثّ الرسول الأكرم ﷺ على تذكّر ذلك اليوم بشكل دائم، كما في خطبته المعروفة في استقبال شهر رمضان إذ يقول: «اذكروا بجوعكم وعطشكم فيه جوع يوم القيامة وعطشه».

وبعد انقضاء هذه المدة، وفي اللحظة التي يشاء الله سبحانه وتعالى، يحين وقت الحساب. وبحسب التعبير القرآني، يتم وضع الموازين. وباستحضار ما ذكر في مقدمة الفصل، فإن المقصود ليس الميزان الذي له كفتين، بل الميزان كل ما يُستخدم للتعديل، ومنه ما تراه في قولنا عند الكلام على القوافي الشعرية «الموازين الشعرية»، وكذا ما يستخدمه البعض من استعمال لفظ «الوزن» للعقل بأنه «يزن» الصحيح من الفاسد من

المعطيات، ومن هنا فعند تناولنا مسألة ميزان الأعمال، فالأعمال ليس لها وزن كمّي بالمعنى المادي - أي أن نضع هذا بكفة وهذا بكفة لِنَزِن - بل المفسرون يذهبون إلى القول إن المقصود هو المعنى المجازي، أي إن الناس يُسألون عن أعمالهم وتُوزن أعمالهم باعتبار الخير والصلاح أو الشر والفساد. فمن ثقلت موازينه هنا هو من ثقُل عمله وعظُم، وثقل العمل هو في أهميته وخلوصه لله، والعكس بخصوص من خفّت موازينه.

فيبدأ السؤال والحساب، وهو منقسم بين حساب للأفراد وحساب للأمم والجماعات - ولمزيد من التفصيل في موضوع حساب الجماعات والآمم يمكن العودة إلى كتاب المدرسة القرآنية للإمام الشهيد السيد محمد باقر الصدر رضوان الله عليه - ونحصر الكلام هنا بحساب الأفراد.

عن حال الأفراد في يوم القيامة نقرأ قوله تعالى: ﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا﴾[1]، أي بمعزل عن الأخ

---

(1) سورة مريم، الآية 95.

والأب والولد والرفيق، كل أولئك مشغولون بأنفسهم، ويقف واحدنا وحيدًا للحساب بين يدي الله عزّ وجلّ على رؤوس الأشهاد، من أنبياء وملائكة وكل بني البشر منذ آدم إلى قيام الساعة، كل هؤلاء يحضرون حسابه، ولذلك يرد في كثير من الأدعية طلب الستر من الله عزّ وجلّ علينا يوم القيامة، أي أن لا يفضحنا يومها على رؤوس الأشهاد، لأننا ارتكبنا في الدنيا ما يخجلنا دون التفات لفضيحة يوم القيامة. الإنسان قد يرتكب المعاصي في الدنيا سرًّا، خشية أن يراه أهل بيته وجيرانه وجماعته وحزبه وبنو بلده، لكنه يوم القيامة سيُفضح بما ارتكب أمام كل الناس، على رؤوس الأشهاد منذ خلق الله آدم إلى قيام الساعة، فإذا كان أحدنا حريصًا على كرامته، فإن عليه أن يكون حريصًا على أن لا يرتكب عيبًا أو ذنبًا يفضحه الله به يوم القيامة.

ويتقدّم الإنسان للحساب، فيؤتى كتابه، انظر كتابك، فيجد فيه كل فعل فعله في حياته، لم يغادر صغيرةً ولا كبيرة إلا أحصاها. وقد يسأل البعض عن كتب من عاش مئةً أو مئتي سنة - ومن أهل الأزمنة السالفة من كان يتجاوز

عمره الألف عام - ما هو حجمه وكيف سيكون؟ وقد وصلت البشرية في يومنا هذا، بعد أن كان السابقون لا يحيرون جوابًا على هذا السؤال ويحيلون المسألة إلى علم الله سبحانه، إلى اكتشاف تقنيات تعيننا على فهم مسألة كهذه والإجابة عليها، فقد أصبح بإمكان واحدنا اليوم أن يحمل في جهاز صغير لا يتجاوز حجم الكف آلاف بل عشرات آلاف الكتب، كما أن من الممكن أن يكون كتاب أعمالنا شاشةً تعرض مشاهد حياتنا وذاك احتمال وارد، والله أعلم.

الإنسان عندما يقرأ كتابه القائم بين يديه، فإنه يفقد حينها كل فرصة للإنكار. في محاكمات الدنيا، مثلًا، الإنسان قد يكذب، ويزوّر، ويحلف اليمين كذبًا، ويأتي بأدلة مفبركة تغير الواقع في عين القاضي، ولكنه في يوم القيامة عن ذلك عاجز، لأن كل شيء مسجّل أمامه في الكتاب، والأنبياء والملائكة وكل أهل الأرض عليه شهود، بل الجدران والبيوت التي كانت محل ارتكاب المعاصي عليه شهوداً، ولسانه ويديه ورجليه سيكونون عليه شهود، فأين المفر؟

وفي ذلك اليوم، من يكون القاضي؟ هو العادل المطلق

العدل، الذي لا يظلم طرفة عين - وكما نقرأ في القرآن، لا ظلم اليوم بين يدي العدل المطلق - والذي لا وساطات لديه، ولا حسابات، لا يخشى أحدًا ولا طمع عنده بشيء، جل عن ذلك، العادل، الغني، القادر، الذي لا يخفى عليه شيء، وعلمه محيط بكل أحوال العباد وأوضاعهم وهو الذي خلقهم. فإلى من المهرب منه؟

قد تجد في محاكمات الدنيا من يدافع عنك، قد تنصّب محاميًا ليدافع عنك، أما هناك فلا، والله سبحانه يقول: ﴿كُلُّ نَفْسٍ تُجَـٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾[1]، فلا وجود لمحامٍ عارف بالقانون ليدافع عنك، بل عليك أنت أن تدافع عن نفسك، والوقائع كلها مكشوفة أمامك.

والنتيجة تكون على ضوء الحساب والكتاب والسؤال والإجابة، فيُحسم الموقف: من ثقلت موازينه - من كان عمله ثقيلًا، وأمضى حياته في العمل الصالح، من أكثر من الصالحات - فهذا إلى الجنة، ومن خفّت موازينه - من كان

(1) سورة النحل، الآية 111.

عمله خفيفًا قليلًا، أو لا عمل صالح له أصلًا - فهذا إلى النار. والمسألة خالية من التعقيد، ولا حاجة لكتاب حقوق للعالم الآخر. يقول تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ * وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ * نَارٌ حَامِيَةٌ﴾[1]. ثم توزّع الشهادات والكتب، فمن أخذ كتابه بيمينه فإلى الجنة مصيره، ومن حمل كتابه بيساره أو خلف ظهره فإلى جهنم.

وعند صدور القرار، أو قبيل صدور القرار، وكما في محاكم الدنيا، يسعى الإنسان لإيجاد الحلول والخيارات، ويبحث عن شيء يفعله للنجاة من تلك المصيبة، وهذه المعاني كلها موجودة في القرآن، إلا أنه لا ينفع هناك اعتذار ولا ندامة ولا أسف، ولا نفع هناك لإقرار بالخطأ والحسرة، كما ولا مورد لكفالة تخرجه من ذلك العذاب - على غرار ما في محاكم الدنيا، حيث يُقبل من المحكوم دفع كفالة وتقديم فدية - ولو أتى بملء الأرض ذهبًا فلن يُقبل منه.

---

(1) سورة القارعة، الآيات 6 - 11.

يقول الله: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[1]، فلا مال ينفع ولا ولد ينفع والده - باستثناء مسألة الشهداء وذاك ضمن موضوع الشفاعة - و﴿يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا﴾[2]، فلا ينفعك سيدك أو شيخك أو زعيمك.

ويقول سبحانه: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ * وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ﴾ - وهم أعزّ الناس إليه - ﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾[3]، فلا يغنيه أخ ولا أم ولا أب ولا زوجة ولا ولد.

بل من هول الحال هناك، ﴿يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ * وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ﴾ بعد أن كان في الدنيا مستعدًا للتضحية بنفسه مقابل حماية أبنائه من الأخطار والأهوال، ﴿وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ﴾ أي عشيرته وقبيلته وحزبه ودولته وجيشه، ﴿وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ﴾، فيأتيه

---

(1) سورة الشعراء، الآيتان 88 و89.

(2) سورة الدخان، الآية 41.

(3) سورة عبس، الآيات 34-37..

الجواب: ﴿كَلَّآۖ إِنَّهَا لَظَىٰ * نَزَّاعَةٗ لِّلشَّوَىٰ﴾[1]، وهي جهنم التي تنتظر الظالمين فلا ينفع شيء منها.

إذًا، فلا مال ولا بنون ولا فدية ولا قريب ولا حسيب هناك ينفع، لا أنساب بينهم، ولا شيء ينفعهم، ولا ندامة ولا اعتذار. لا ينفعه قوله ﴿رَبِّ ٱرۡجِعُونِ﴾[2] إلى الدنيا، إذ الدنيا قد انتهت، والأرض غدت غير الأرض، والسماء غير السماء.

فما الذي ينفع يومذاك؟

الضمان يومذاك والنافع الأوحد هو الإيمان والعمل الصالح.

ولذلك نجد أمير المؤمنين عليه السلام يقول: تزوّدوا يرحمكم الله فقد نودي فيكم بالرحيل وخير الزاد التقوى[3].

---

(1) سورة المعارج، الآيات 11-16.

(2) سورة المؤمنون، الآية 99.

(3) ما أورده سماحة السيد كلام مستفاد من كلام لأمير المؤمنين عليه السلام ورد في نهج البلاغة نصّه: «تجهّزوا رحمكم الله فقد نوديَ فيكم بالرحيل وأَقِلُّوا العُرجَةَ على الدنيا وانقَلِبوا بصالح ما بحضرتكم من الزاد، فإنّ أمامكم عَقَبَةً كَؤودًا ومنازل مخوفَةً مهولةً لا بد من الورود عليها والوقوف عندها، واعلموا أن مَلاحِظَ المنيّة نحوَكم دانية وكأنّكم بمخالبها، وقد نَشَبَت فيكم وقد دَهَمَتكُم فيها مُفظِعاتُ الأمور ومُعضلات المحذور، فاقطعوا علائق الدنيا واستظهروا بزاد التقوى»، انظر، نهج البلاغة، الخطبة 204.

والتقوى هي نتيجة الإيمان والعمل الصالح.

والعمل الصالح يحمل معنًى واسعًا، من عبادة وجهاد وحسن خلق، وفعل خير وأمر بالمعروف، وتصدّق على المحتاجين وإغاثة للملهوفين ومساعدة للطالبين، ودفاع عن كرامات الناس وأعراضهم، ذلك كله من مصاديق العمل الصالح، وهو - مضافًا للإيمان - وحده النافع يوم القيامة.

إلا أنه قد يُتدارك بالقول إن الله ترك بابًا مفتوحًا للنجاة، هو باب الشفاعة، شفاعة الأنبياء والأئمة والأولياء والشهداء، وبالرغم من أن أحدًا لا يستطيع أن يضمن أن تناله الشفاعة، إلا أنها تبقى بابًا من أبواب الأمل. والكلام على مبدأ الشفاعة وارد في الروايات وفي الآيات القرآنية، وهو ثابت للشهداء فهم يُشَفَّعون فيشفعون لأهلم وذويهم، وثابت للأنبياء والأئمة المعصومين، ولبعض الأولياء الصالحين، وفئات غيرها ممن يرتضيه الله

تذكرها الروايات[1]. وهؤلاء يشفعون بمكانتهم ودرجتهم

(1) الشفاعة يوم الحساب تنسب بحسب المرويات لعدة فئات:

أ. النبي الأكرم ﷺ، إذ يروى عنه أنه قال: «أعطيتُ خمسًا لم يُعطَها أحد قبلي، جُعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا، وأُحلّ لي المغنم، ونُصرت بالرعب، وأُعطيت جوامع الكلم، وأُعطيت الشفاعة»، وروي عنه ﷺ أنه قال: «لي فضل على النبيين، فما من نبي إلا دعا على قومه بدعوة، وأنا أخّرت دعوتي لأمتي لأشفع لهم يوم القيامة»، وعنه أيضًا: «إذا قمت المقام المحمود تشفّعت في أصحاب الكبائر من أمّتي فيشفّعني الله فيهم»، وغيرها الكثير مما يثبت له ﷺ الشفاعة.

ب. الأئمة المعصومون عليهم السلام وسائر الأنبياء عليهم السلام، فقد ورد عن أبي عبد الله الصادق أنه قال: «لا يشفع أحد من أنبياء الله ورسله يوم القيامة حتى يأذن الله تعالى له إلا رسول الله ﷺ، فإن الله قد أذن له في الشفاعة من قبل يوم القيامة، فالشفاعة له وللأئمة من ولده عليهم السلام، ثم بعد ذلك للأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين»، وروي عن الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام أنهما قالا: «والله لنشفعن في المذنبين من شيعتنا»، وغيرها.

ج. فئات خاصة من المؤمنين (ومنهم العلماء والشهداء)، فإنه ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «من أعان طالب العلم فقد أحب الأنبياء وكان معهم، ومن أبغض طالب العلم فقد أبغض الأنبياء فجزاؤه جهنم، وإن لطالب العلم شفاعة كشفاعة الأنبياء»، وعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «يا فضل، لا تزهدوا في فقراء شيعتنا، فإن الفقير منهم ليشفع يوم القيامة في مثل ربيعة ومضر»، وعن العياشي عن عبيد بن زرارة أنه «سئل أبو عبد الله عليه السلام عن المؤمن، هل له شفاعة؟ قال: نعم»، وروي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه قال: «إن لرسول الله ﷺ الشفاعة في أمته، ولنا الشفاعة في شيعتنا، ولشيعتنا الشفاعة في أهاليهم».

د. القرآن الكريم، فعن أبي عبد الله الصادق أنه قال: «من قرأ القرآن وهو شاب مؤمن اختلط القرآن بلحمه ودمه، وجعله الله عز وجل مع السفرة الكرام، وكان القرآن حجيزًا عنه يوم القيامة»، وغيرها الكثير.

المرويات المذكورة أعلاه وغيرها مما يدور حول مسألة الشفاعة واردة كلّها في كتاب معالم الزلفى، الجملة الرابعة، الأبواب الثالث والعشرون إلى التاسع والعشرون.

ومقامهم عند الله سبحانه وتعالى وقربهم منه، وهو كريم جواد لطيف يقبل شفاعتهم، فيستنقذ من النار والعذاب قومًا كان من المفترض حشرهم إليها. والأمر ذلك يكون طبعًا ضمن نظام العالم الآخر، وتوجد له ضوابطه ومحدداته، حتى للأنبياء والشهداء، فالشفاعة تكون لشرائح معيّنة يعلمون أن الله يرضى بأن يُشفع لهم وإلا فلا تنال الشفاعة كل الناس.

وهناك أيضًا باب آخر للنجاة، هو باب رحمة الله سبحانه وتعالى. فالله سبحانه رحيم، عطوف، تسع رحمته غضبه، وقد يعفو عمّن أُدخِل من الناس نار جهنم، من الذين عصوه وتكبّروا عليه وأشركوا به وأنكروا وجوده، وذلك لانتشار رحمته في ذلك اليوم واتساعها بمقدار ما لا تدركه الظنون، والأمر هذا بيده ومشيئته.

وقد ورد في بعض الروايات أن الله سبحانه وتعالى ينشر في يوم القيامة رحمةً يتطاول لها عنق إبليس، أي إن إبليس الذي لا يُفترض له مآل غير جهنم تمتد عنقه تطلّعًا إلى رحمة الله سبحانه لعلمه أنه هو الرحمن الرحيم المطلق.

لكن أبواب الشفاعة والرحمة المنتشرة ليست مضمونة الشمول لكل منا. فيبقى الإيمان والعمل الصالح الضمانة الوحيدة، ما نقدّم من خير نجده هناك ولا شيء آخر، عملنا الصالح يسبقنا إلى هناك، خيرنا الذي نقدّمه في هذه الدنيا يسبقنا إلى هناك. هذا هو ضمانتنا الحقيقية.

موجز في الصراط والنتيجة:

بعد تلك المراحل يُحسمُ الأمر، فأهل الجنة إلى الجنة يحشرون يساقون إليها كعريس يُزف إلى عروسه، وأهل النار إلى النار يحشرون يساقون إليها مأخوذين بالنواصي والأقدام. كل هذه التفاصيل موجودة في القرآن الكريم وفي الأحاديث الشريفة وهي موارد يجب الاهتمام بها ومطالعتها، كسورة الزمر، مثلًا.

وهنا يأتي كلام على موضوعة الصراط الذي ذُكر العبور عليه لبلوغ الجنة - وباستحضار لمسألة الحقيقة والمجاز - هل هو جسر مادي يعبر عليه المشاة فوق جهنم ليصلوا إلى الجنة أو معناه الدين الذي هو الطريق

الإلهي، أي الصراط المستقيم الذي إن سلكناه واتبعناه وصلنا إلى الجنة؟ وبتعبير آخر، هل استعمل لفظ الصراط بمعناه الحقيقي أو المجازي؟ في ذلك اختلف العلماء والمفسرون أيضًا، فبعضهم ذهب إلى تبنّي الرأي الأول، والبعض الآخر ذهب إلى تبني الرأي الثاني، والنقاش هذا - وبالرغم من إعراضنا عنه هنا - يعتبر مهمًّا وجديرًا بالالتفات لما لموضوع الصراط من تفصيل وشؤون وشجون تتعلق بمصير الإنسان.

والآن من دخل من الناس الجنة فقد فاز والخلد فيها مآله. أمّا أهل النار فهم ينقسمون إلى المخلدين في النار وغيرهم ممن يخرج منها لاحقًا إما لامتزاج عمله بين صالح وسيئ أو لشمول الرحمة الإلهية إياهم أو لشفاعة أحد أهل الشفاعة بهم، فيصدر قرار العفو عنهم ويُنقلون من النار إلى الجنة. أما تفصيل القول في هؤلاء، فلا نتناوله هنا ولكن من الجيد الاطلاع عليه والبحث فيه. وما يهمنا هنا هو النهي عن أن نعوّل على هذا التفصيل، بأن يقول أحدنا إني إن اختلط صالح عملي بالسيئ من العمل فقد

أدخل جهنم مدةً ثم أخرج منها، لأن أحدًا لا يستطيع أن يتحمل قليلًا من زفيرها وشهيقها ونارها التي تتطلع على الأفئدة.

هكذا ينتهي مشهد القيامة.

كلمة في الغاية المتوخاة من المبحث:

إن الغاية المبتغى تحصيلها مما تقدم من السرد والتفصيل هي إيقاظ الغافلين ولفتهم إلى وجود مسؤوليات خطيرة ملقاة على عاتق كل منا. ولذا فعلى كل منّا أن يضع لنفسه مسارًا وهدفًا، في إزاء ما مر من تفصيل، إذ الوقائع التي سبق ذكرها واقعة وآتية لا محالة، وقد أكدت على وقوعها نصوص القرآن والحديث، وعند وقوعها لا ينفع ندم ولا توبة، وما أكثر ما سيتحسّر الإنسان ولن تنفع حسرة، فالعاصي سيتحسر على ما اقترف من الفعال لما سيرى من هول العذاب، والمطيع سيتحسر على تقصيره لما سيرى من عظيم الفضل.

فيجب إذًا أن نضع نصب أعيننا هدفًا، هو بلوغ مرتبة

العبودية لله سبحانه، بمعزل عن الكلام على مقامات العبودية وأن منها عبادة التجار وعبادة العبيد وعبادة الأحرار، وحصر مقبولية الله ببلوغ أعلى تلك المراتب، إذ ذاك مما يختص به الأنبياء والعرفاء الواصلون، ولا ينبغي تعقيد المسألة لصعوبة ذلك ومشقّتِه على الناس. بل الأصح القول إن علينا السعي لتحقق معنى العبودية لله فينا، بالتزام أوامره وترك نواهيه، والله سبحانه يقبل ذلك أمن التجار كُنّا أم من العبيد.

يقول تعالى: ﴿فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ﴾[1]، وهو هدف جدير بأن يعمل الإنسان طوال عمره سعيًا إلى بلوغه. فينبغي أن يكون هدفي أن أزحزح عن النار، وأن أدخل الجنة، وأن أكون في يوم القيامة آمنًا، وفي يوم الفزع الأكبر مطمئنًا، وأن تشملني رحمة الله عزَّ وجلّ، وأن لا أُفضح أمام الله وملائكته وأنبيائه والناس أجمعين، أريد الشرف والكرامة والأمن والنعيم والسلامة

(1) سورة آل عمران، الآية 185.

والعافية الأخروية، وأن أنجو من العذاب الذي لا تحتمله روح. هذا هدفنا، وعلينا أن نضع أمامه ما طلبه الله منّا، ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ﴾[1].

ونحن إذ نضع هذا الهدف نصب أعيننا فإن علينا بغية تحقيقه الالتزام بخطة عملية وبرنامج عملي أوجزه هنا ببضع خطوات:

أولًا: أن نذكر الآخرة. فلا ننساها ونغفل عنها. ولا يكون ذكرنا الآخرة والقبر والبرزخ وأحداث القيامة ونتائجها والجنة والنار ذكرًا موسميًّا، منحصرًا ببعض المناسبات فقط، كليالي القدر، أو موت عزيز، بل يكون على مدار الساعة، لأن الموت يأتي بغتة ولا علم لنا بالساعة. فالذكر الدائم للموت والآخرة هو أول الخطوات، وهو الذي يحرّك فينا الحياة ويشعرنا بقيمة اللحظات والساعات والأيام التي يمكن أن تنقضي ولا يفصلنا بعدها عن آخرتنا أو عن أجلنا فاصل.

---

(1) سورة التحريم، الآية 6.

ثانيًا: أن نحذر الآخرة. وهو المعنى المشار إليه في الآية المشار إليها في التمهيد، ومفاد ذلك أن نخاف الآخرة، وأن نقلق منها ونرتقبها فلا يكون ذكرنا لها مجردًا. وبذلك نحتاط منها ومما تشتمل عليه من المصاعب.

ثالثًا: أن نعمل للآخرة. كما يضع أحدنا لحياته الدنيا هدفًا ويسعى في سبيل تحقيقه، فيخطط ويعمل ويسهر الليل ويجهد النهار، أفلا تستحق حياة الآخرة أن يعمل العامل لها ويبذل في سبيل إصلاحها كل جهد؟ فيستغفر ربه ويتوب إليه من ذنوبه الماضية أولًا. ثم يقضي، ثانيًا، ما فاته من الصلوات والطاعات، ويؤدي ما في أمواله من حق للسائل وللمحروم، وينبّه نفسه من غفلة الوقوع في المعاصي في كل أمر من الأمور.

وأخص بهذه التوجيهات جيل الشباب، الذين ما يزالون في مقتبل العمر، يتمتعون بالحيوية والنشاط اللذين يفقدهما الشيب من الناس، دون أن يعني أن أولاء فاتتهم الفرصة بل جل المقصود أن فرصة الشباب سانحة أكثر. فعلينا جميعًا أن نعمل صالحًا ونستغلّ وجودنا في هذه

الدنيا، وبقية ما لنا من صحة وعافية، وبقية ما نملك من مال وقدرة ووقت، ما تبقى من عمرنا ينبغي استنفاده في سبيل صلاح آخرتنا التي لا تمتد لخمسين أو لمئة سنة بل لملايين السنين وأكثر، فهي دار الخلود والله العالم.

وإن أهم تفصيل في هذا البرنامج العملي هو عدم التعلق بالدنيا، بما فيها من مال وجاه وشهوات. لأن التعلق بها قد يسهّل في أعيننا فعل الحرام ابتغاء شهواتها، فكم من عاصٍ ابتغى شهوةً أو لذةً دنيويةً فدفعته نفسه الأمّارة بالسوء للإقدام على ارتكاب المعاصي في سبيل نيلها. ولا نتحدث هنا عن قطع الإنسان علاقته بالدنيا، إذ الدنيا مزرعة الآخرة، ولكل منا فيها زوجة وأولاد ومصالح، ولكن المطلوب أن لا يكون هذا التعلق بنحوٍ إذا طُلب من الإنسان تقديم مال أو ولد أو حضور في ساحة الجهاد تخلّف. وهاجِرُ الدنيا بهذا المعنى يصبح متعلق القلب بالآخرة. يستفيد من الدنيا، ويعيش في الدنيا كما يعيشها وعاشها الصالحون.

هذا المعنى هو خلاصة مسير الحسين ومن معه من الكربلائيين.

واقعة كربلاء في ميزان السعي الأخروي:

وفي السياق السالف نفسه، نقول إن بعض الناس قد يفلح فيما طرحنا من السعي إلى النجاة من النار والفوز بالجنة، وبعض آخر قد يترقى درجةً فيفلح في سعيه، بل ويكون سببًا في نجاة غيره، ولكن أرقى مستويات هذا السعي هو سعي الإنسان في سبيل توفير النجاة لأهل الأرض جميعًا، وهذه كانت مهمة الأنبياء والأئمة، وكذا كان حال الإمام الحسين عليه السلام.

الحسين عليه السلام في كربلاء، بثورته وشهادته الغراء، إنما أراد إبعاد الناس عن طريق النار ووفّر لهم بابًا للجنة مفتوحًا إلى قيام الساعة.

فما هي خلاصة واقعة كربلاء؟ في الواقعة هذه نحن لسنا أمام مجتمع يجهل الحق والباطل. بل الحق كان واضحًا بيِّنًا وكذلك الباطل. كل مسلمي ذلك الزمن كانوا يعلمون مَنْ هو الحسين ومن هو يزيد. الحسين هو سبط الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وله في الأمّة مكانة وقدر عظيمان لا يصح من أحد ادعاء جهلهما.

فالحق واضح، والباطل واضح، والمعركة واضحة، والأهـداف واضحة. ولكن المسألة تتلخص بأن بعض الناس حرصوا على دنياهم وتعلقوا بها، خافوا على أموالهم وعلى أولادهـم، على بيوتهم وعلى بقية دنيا فانية، فخذلوا حفيد رسول الله ﷺ، لا بل قتلوه بقسوة. بعضهم من أجل منصب في الريّ أو الكوفة أو البصرة، خذلوا الحسين وقتلوه عليه السلام، فخسروا الآخرة بل خزاهم الله حتى في نيلَ نِعم الدنيا.

وفي مقابلهم نجد بعضًا - وكانوا قلةً - ممن عرفوا الله وخافوا لحظة الوقوف والسؤال بين يديه كحبيب بن مظاهر الشيخ الكبير الطاعن وزهير بن القين والعباس بن عليّ والقاسم الفتى وسواهم من الرجال والنساء اللاتي كنّ في كربلاء. فهؤلاء دار في حسبانهم التالي:

غدًا عندما نُحشر في صحراء الموقف بين يدي الله سبحانه وتعالى ونُسأل عن خروج الحسين ابن بنت رسول الله ﷺ الذي كان في سبيل الدفاع عن ديننا والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعن وجوب نصرته علينا،

هل نصرناه أم لا؟ فإن جوابنا سيكون: بلى يا رب، وقفنا معه وبقينا معه، وثبتنا معه، وعطشنا معه، وقاتلنا معه، وقُتلنا بين يديه، وقُطّعنا بين يديه حتى نُحشر يوم القيامة بيض الوجوه، يوم تبيضُّ وجوه وتسودّ وجوه.

هذه قصة كربلاء، في العمق والحقيقة.

السلام عليك يا سيدي ومولاي يا أبا عبد الله الحسين، يا ابن رسول الله ﷺ، وعلى الأرواح التي حلّت بفنائك، عليكم مني جميعًا سلام الله أبدًا ما بقيت وبقي الليل والنهار، ولا جعله الله آخر العهد منّا لزيارتكم. السلام على الحسين، وعلى علي بن الحسين، وعلى أولاد الحسين، وعلى أصحاب الحسين.

والحمد لله رب العالمين.

فهرس الآيات القرآنية

	الآية	الصفحة
سورة البقرة		
﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾	٤٨	١٩
﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾	١٢٦	٢٠
﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ﴾	١٥٤	٤٢
﴿أَحْيَاءٌ وَلَٰكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾	١٥٤	٤٣
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾	٢٥٨	٢٢

	الآية	الصفحة
سورة آل عمران		
﴿ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ١٦٩ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ ﴾	١٦٩ - ١٧٠	٤٣
﴿ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ﴾	١٦٩	٤٣
﴿ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ ﴾	١٧٠	٤٣ - ٤٤
﴿ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ١٧٠ ۞ يَسۡتَبۡشِرُونَ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾	١٧٠ - ١٧١	٤٤
﴿ فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ ﴾	١٨٥	٩٧
سورة النساء		
﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ﴾	٨٧	١٩
سورة الأنعام		
﴿ قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةٗ قَالُواْ يَٰحَسۡرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطۡنَا فِيهَا وَهُمۡ يَحۡمِلُونَ أَوۡزَارَهُمۡ عَلَىٰ ظُهُورِهِمۡۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴾	٣١	٦٣

	الآية	الصفحة
سورة الأعراف		
﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾	٥٩	٢٠
﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ﴾	١٥٦	٢٠
﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾	١٨٧	٦٣
سورة يوسف		
﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾	١٠١	٢٠
سورة إبراهيم		
﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾	٤٨	٢٩ - ٣٠ - ٧٢

	الآية	الصفحة
سورة النحل		
﴿كُلُّ نَفۡسٖ تُجَٰدِلُ عَن نَّفۡسِهَا﴾	١١١	٨٢
سورة الإسراء		
﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا﴾	٧٢	٦٠ - ٦١
سورة مريم		
﴿يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدٗا﴾	٨٥	٨١
﴿وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا﴾	٩٥	٨٤
سورة طه		
﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ﴾	١٥	١٩
سورة الحج		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ١ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ﴾	١ - ٢	٦٤

	الآية	الصفحة
سورة المؤمنون		
﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٠٠ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾	٩٩ - ١٠١	٣٠ - ٣١
﴿ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ﴾	٩٩	٩٠
سورة الشعراء		
﴿ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ٨٨ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ﴾	٨٨ - ٨٩	٨٩
سورة القصص		
﴿ تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾	٨٣	١٩
﴿ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾	٤	٢٢
﴿ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ ﴾	٧٧	٤٩

	الآية	الصفحة
سورة الأحزاب		
﴿ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ ﴾	١٠	٨٢
سورة يس		
﴿ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴾	٤٩	٦٣
﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴾	٥١	٧٨ - ٧٩
﴿ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ ۗ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾	٥٢	٧٩
﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾	٥٣	٨٠
سورة الزمر		
﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾	٩	٩ - ٣٦
﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾	٣٠	٤٧
﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾	٦٨	٦٦ - ٦٨

	الآية	الصفحة
﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾	٦٩	٧٢
سورة غافر		
﴿ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ ﴾	١٨	٨٢
﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴾	٤٥	٣٨
﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ ﴾	٤٦	٣٨
﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾	٤٦	٣٨ - ٣٩
سورة الزخرف		
﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾	٦٦	٦٣
سورة الدخان		
﴿ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾	٣٠ - ٣١	٢٢
﴿ يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾	٤١	٨٩
سورة الفتح		
﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ ﴾	١٠	٦١

	الآية	الصفحة
سورة ق		
﴿يَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلۡأَرۡضُ عَنۡهُمۡ سِرَاعٗاۚ ذَٰلِكَ حَشۡرٌ عَلَيۡنَا يَسِيرٞ﴾	٤٤	٨٠
﴿يَوۡمَ يَسۡمَعُونَ ٱلصَّيۡحَةَ بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُرُوجِ﴾	٤٢	٨١
سورة الرحمن		
﴿كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ (٢٦) وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾	٢٦ - ٢٧	٦٥
سورة الواقعة		
﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلۡأَرۡضُ رَجّٗا (٤) وَبُسَّتِ ٱلۡجِبَالُ بَسّٗا (٥) فَكَانَتۡ هَبَآءٗ مُّنۢبَثّٗا﴾	٤ - ٦	٧٣
سورة التحريم		
﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾	٦	٩٨
سورة الحاقة		
﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ﴾	١٣	٧٤
﴿وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾	١٤	٧٤
﴿فَيَوۡمَئِذٖ وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ (١٥) وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوۡمَئِذٖ وَاهِيَةٞ﴾	١٥ - ١٦	٧٤
سورة المعارج		
﴿كَلَّآۖ إِنَّهَا لَظَىٰ (١٥) نَزَّاعَةٗ لِّلشَّوَىٰ﴾	١٥ - ١٦	٩٠

	الآية	الصفحة
﴿يُبَصَّرُونَهُمْۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذِۭ بِبَنِيهِ (١١) وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ﴾	١١ - ١٢	٨٩
﴿وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِي تُـْٔوِيهِ﴾	١٣	٨٩
﴿وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ﴾	١٤	٨٩
سورة المزمل		
﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾	١٤	٧٤
سورة المرسلات		
﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ (٧) فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ (٨) وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ (٩) وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ﴾	٧ - ١٠	٧٤
سورة النازعات		
﴿أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ﴾	٩	٣٦
﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي ٱلْحَافِرَةِ (١٠) أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً﴾	١٠ - ١١	١٣
﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ (١٥) إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى (١٦) ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ (١٧) فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ (١٨) وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ (١٩) فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ (٢٠) فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ (٢١) ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ (٢٢) فَحَشَرَ فَنَادَىٰ (٢٣) فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ (٢٤) فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ﴾	١٥ - ٢٥	٢٢

	الآية	الصفحة
سورة عبس		
﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ﴾	٣٤ - ٣٦	٨٩
﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾	٣٧	٨٩
سورة التكوير		
﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾	١	٧٦
﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾	٢ - ٦	٧٦
﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ﴾	٧ - ١١	٧٦
﴿وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾	١٢	٧٦
﴿وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾	١٣	٧٦
﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾	١٤	٧٦
سورة الانفطار		
﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾	١ - ٤	٧٥

	الآية	الصفحة
سورة الانشقاق		
﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ١ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ٢ وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ ٣ وَأَلۡقَتۡ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتۡ﴾	١ - ٤	٧٥
سورة الزلزلة		
﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا﴾	١	٧٥
﴿وَأَخۡرَجَتِ ٱلۡأَرۡضُ أَثۡقَالَهَا ٢ وَقَالَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا لَهَا﴾	٢ - ٣	٧٥
﴿يَوۡمَئِذٖ تُحَدِّثُ أَخۡبَارَهَا ٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوۡحَىٰ لَهَا ٥ يَوۡمَئِذٖ يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ أَشۡتَاتٗا لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾	٤ - ٦	٧٦
سورة القارعة		
﴿ٱلۡقَارِعَةُ ١ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ٢ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ٣ يَوۡمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلۡفَرَاشِ ٱلۡمَبۡثُوثِ ٤ وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ٱلۡمَنفُوشِ﴾	١ - ٥	٧٥

	الآية	الصفحة
﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةُۢ﴾	٦ - ١١	٧٥ - ٨٨

سورة المسد

﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ ﴿٣﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٞ مِّن مَّسَدِۭ﴾	١ - ٥	٣٩

الكشاف العام

(أ)

آدم عليه السلام ١٠، ٢٠، ٢١، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٦٧، ٨٥.

آل فرعون ٤١.

الأئمة المعصومون عليهم السلام ٤٢، ٧٧.

إبراهيم (النبي عليه السلام) ٢٠، ٢٢.

إبليس ٩٣.

أبو جهل ٣٩.

أبو حمزة الثمالي ٨١.

أبو ذر ١٩، ٢٠.

أبو لهب ٣٩.

إسرافيل ٦٧، ٦٨، ٧٧، ٧٨.

أمالي الصدوق ٢٠، ٣٢.

أهل البيت عليهم السلام ١٩، ٣٢، ٤٠، ٤٩، ٥١، ٦٣.

أهل الجنة ٦٤.

أهل النار ٦٤.

أولاد الحسين ١٠٣.

(ب)

الباقر عليه السلام ٣٣، ٤٠، ٩٢.

البرزخ ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٤، ٣٧، ٤٠، ٤٢، ٤٧، ٤٨، ٥٢، ٦٢، ٦٥، ٩٨.

البصرة ١٠٢.

بنو إسرائيل ٢٢.

(ت)
تفسير القمي ٦٣، ٧٧، ٨١.
تفسير الميزان ٢٨، ٦٣.

(ج)
جبرائيل ٦٨، ٧٧.

(ح)
حبيب بن مظاهر ١٠٢.
حسن نصر الله (السيد) ٨، ٦٣، ٩٠.
الحسين عليه السلام ١٠، ٤٠، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣.
حواء ٢٨.

(ز)
زهير بن القين ١٠٢.
زين العابدين عليه السلام ٨١.

(س)
السجاد عليه السلام ٣٢.
السُّنة ٣٦.

(ش)
شجرة الطوبى (كتاب) ٤٩.
الشريعة الإسلامية ٢٠، ٣٦.
الشهداء ٢٢، ٤٢، ٤٦، ٥١، ٩١.
الشيعة ٣٦.

(ص)
الصادق عليه السلام ٣٢، ٣٣، ٣٦، ٤٠، ٤١، ٧٧، ٩٢.
الصالحون ٢١، ٢٢، ٣٣، ٣٤.
صحراء المحشر ٨، ٣٠، ٣١، ٧١، ٨٠، ٨٣.
صناديد قريش ٣٩.

(ط)

الطباطبائي (العلّامة) ٢٨.

الطغاة ٢٢، ٢٣.

الطواغيت ٣٩.

(ع)

عاشوراء ٨.

العباس بن علي ١٠٢.

عبد العزى بن عبد المطلب = أبو لهب.

عبد المطلب ٣٩.

عبدة الأوثان ١١.

العبيد ٩٧.

عبيد بن زرارة ٩٢.

العتاة ٣٩.

عتبة بن أبي لهب ٣٩.

عثمان بن حنيف الأنصاري ٣٥.

العرب ٥٨، ٦٠.

عزرائيل ٦٩.

علي بن أبي طالب عليه السلام ١١، ٣٥، ٨١، ٩٠.

علي بن الحسين عليه السلام ٧، ١٠٣.

عمرو بن هاشم بن المغيرة = أبو جهل.

(ف)

الفراعنة ٣٩، ٤٧.

فرعون ٢٢، ٣٧، ٣٩.

(ق)

القاسم بن الحسن ١٠٢.

القرآن الكريم ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٣٧، ٣٩، ٤٢، ٥٧، ٥٨، ٦٠، ٦٢، ٦٣، ٦٥، ٦٦، ٧٧، ٨٨، ٩٢، ٩٦.

قريش ٣٩.

(ك)

الكاظم عليه السلام ٨١.
الكافي ١٩، ٣٢، ٣٣، ٣٦، ٤٠.
كربلاء ١٠، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣.
الكربلائيون ١٠٠.
كنانة (قبيلة) ٣٩.
الكوفة ١٠٢.

(م)

المجرمون ٢٢.
محمد صلى الله عليه وآله وسلم ١٩، ٢٠، ٣٢، ٣٣، ٣٩، ٤٢، ٤٩، ٦٣، ٦٦، ٦٧، ٦٨، ٨١، ٨٣، ٩٢، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣.
محمد باقر الصدر ٨٤.
محمد مهدي الحائري ٤٩.
المسلمون ٣٢، ٣٦.
المسيح ٧٩.
معالم الزلفى ٦٨، ٨١، ٩٢.
معسكر الأعداء ١٠.
المفسرون ٣٨، ٦٨، ٨٤.
ملوك بابل ٢٢.
المؤمنون ١٥، ١٨، ٢١، ٢٢، ٤١، ٤٦، ٤٧.
موسى عليه السلام ٢٠، ٢٢، ٣٧، ٣٨.
ميزان الحكمة ١٩، ٢٠، ٣٢، ٤١.
ميكائيل ٦٨، ٧٧.

(ن)

النماردة ٣٩.
نمرود ٢٢.
نهج البلاغة ٣٥، ٩٠.
نوح عليه السلام ٢٠.

(ي)

يزيد بن معاوية ١٠١.
يوسف عليه السلام ٢٠.

Given the significance of these two lectures, we found it necessary to compile them in this book, offering them to readers, pleading Allah to grant you and us a good end and great rewards.

judgement, and eventually eternal life.

Our existence and lives we spend in this evanescent world are but trials for either being rewarded by eternal bliss or punished by everlasting damnation. This mundane world is but a pathway and field to sow our seeds to be harvested in the Hereafter, and death only marks the end of deeds and beginning of judgement and the bridge through which one transitions from temporal pain to immortality. It is the greatest, weightiest and most bitter of realities and it is the greatest end that can never be escaped.

The constant remembrance of death, judgment and the Day of Resurrection restores the essence of human life to consciousness once again, preventing one from deviating from or forgetting this inevitable end. Sayyed Hassan Nasrallah (May Allah protect him) has spoken of death and the desert of resurrection (day), and the stages that one shall pass through, in lectures he delivered during the Ashura anniversary commemoration of 1437 A.H./2015.

Prelude

In the Name of Allah,

The All-beneficent,

the All-merciful

Praise be to Allah, peace and blessings be upon our Prophet Muhammad (PBUH) and his Sacred Family (PBUT).

Desert of Resurrection:

We all realize that we are departing this mundane world, whether our stay in it be long or brief. Based on our Islamic doctrine, as many other religions, we shall indeed face our day of

Al-Mawada House

for Translation, Investigation, and Publishing

The Book: A series of lectures by Seyyed Hasan Nasrallah
Desert of Resurrection

Eddition: 2016 – 1437 Hijri

Lebanon, Beirut, Sfeir, Moukarzel Street
Mob: 0096170724300
Telefax: 00961 1 270 664
info@diwan-kitab.com | diwan.kitab.dm@gmail.com

Desert of Resurrection

Its light is faith and good deeds

سلسلة محاضرات لسماحة السيد حسن نصرالله

صحراء المحشر

ينبغي أن يكون هدفي أن أُزَحزَح عن النار،

وأن أدخلَ الجنّة،

وأن أكون في يوم القيامة آمناً،

وفي يوم الفزع الأكبر مطمئنّاً،

وأن تشملني رحمة الله عزَّ وجلّ.

نصرالله